الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية اللغات الأجنبية

قسم اللغة الانجليزية

السند البيداغوجي لمقياس: أدب الرحلة

السنة الأولى إنجليزية

إعداد الدكتورة : مالكي سميرة

الرتبة : أستاذة محاضرة قسم – أ –

السنة الجامعية: 1441-1442هـ/2020-2021م

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات:

المحاضرة الأولى : مدخل إلى أدب الرحلة أو أدب الرحلات

المحاضرة الثانية : نشأة أدب الرحلة وتطوره ،ج1 ، **العصر القديم**

المحاضرة الثالثة : نشأة أدب الرحلة وتطوره ، ج2 ، **العصر الوسيط**

المحاضرة الرابعة : نشأة أدب الرحلة وتطوره ، ج3 ، **العصر الحديث**

المحاضرة الخامسة : أدب الرحلة في الجزائر من القرن الثامن عشر إلى العشرين

المحاضرة السادسة : أغراض الرحلة .

المحاضرة السابعة : أدب رحلات الحج.

المحاضرة الثامنة : أبو الحسن المسعودي

المحاضرة التاسعة : ابن الفضلان

المحاضرة العاشرة: أبو عبد الله محمد بن محمد الإدريسي.

المحاضرة الحادية عشر: ابن جبير

المحاضرة الثانية عشر: أبو عبد الله العبدري

المحاضرة الثالثة عشر: ابن بطوطة

المحاضرة الرابعة عشر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي الغرناطي

المحاضرة **الخامسة عشر** : الرحلة العياشية ماء الموائد لأبي سالم العياشي.

المحاضرة الأولى : مدخل إلى أدب الرحلة أو أدب الرحلات

فن الرحلة لون أدبي ذو طابع قصصي، كما أنه ضرب من السيرة الذاتية في مواجهة ظروف وأوضاع، وفي اكتشاف معالم وأقطار، وبلدان ووصفها، والحكم عليها وعلى المجتمع فيها، حكاما ومواطنين، فهو وصف في النهاية لكل ما انطبع في ذهن الرحالة عبر مسار رحلته وفي احتكاكه بالمحيط، يتآزر في ذلك الواقع والخيال، وأسلوب القص والحقائق العلمية التاريخية والجغرافية والاجتماعية والنفسية وغيرها.[1]

وأدب الرحلة يرد بتسميات أو مصطلحات مختلفة عند النقاد والباحثين، ومن بين هذه التسميات نجد ما يلي: أدب الرحلة ـ أدب المذكرات والسير الذاتية ـ الأدب السياحي ـ الأدب الجغرافي ـ ولعل أكثر هذه التسميات تداولاً هو أدب الرحلة، أو أدب الرحلات.

مفهوم **أدب الرحلة**:

يسمى الأدب المكتوب من وحي الانتقال من مكان إلى مكان آخر، أدب الرحلة، أو أدب الرحلات(Littérature de voyages) بالفرنسية، و(Travel litterature) بالإنجليزية وهو مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف

[1]- ينظر: **الرحلة في الأدب العربي** ، شعيب حليفي ،الهيئة العامة لقصور الثقافة ، أبريل 2002م ، ص 37 – 38 – 39 – 40 – 41 .

عن رحلاته، وفي بلاد مختلفة. وقد يتعرض لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، تسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته، مرحلة مرحلة، أو يجمع بين كل هذا في آن واحد... ويعتبر أدب الرحلات - إلى جانب قيمته الترفيهية والأدبية أحياناً - مصدراً هاماً للدراسات التاريخية المقارنة [1] .

أنواع أدب الرحلة : يتنوع أدب الرحلات بتنوع أغراض الرحلة وباختلاف وجهة أنظار الرحالة وغيره من الأسباب، وأنواعه ما يلي:

أدب الرحلة القصصي

أدب الرحلة الجغرافي

أدب الرحلة الثقافي

أدب الرحلة المشاعري

أدب الرحلة الديني [2]

ويقوم أدب الرحلة على عنصرين أساسيين لا يستغني أحدهما عن الآخر، نص أدبي لا يخلو من الخيال، ورحلة واقعية.

---

[1] - معجم مصطلحات الأدب، مجدي وهبة: ص 77 ، ينظر : الرحلة في الأدب العربي ، شعيب حليفي ،ص 68 – 70

[2]- ينظر : بدو العراق والجزيرة العربية بعيون الرحالة ، د. علي عفيفي علي غازي ،تقديم أ.د. محجوب الزويري ،ط1 ، لبنان ، 2016 ، صفحات متفرقة.

وقد برزت الرحلة كفنّ أدبي مدوّن ابتداءً من القرن الثالث الهجري بجهود بارزة، ومن بينها عمل " اليعقوبي " (ت284) صاحب كتاب " البلدان "، ومن بعده " المسعودي " صاحب كتاب "مروج الذهب "، جامعين بين المادة التاريخية والجغرافية والإطار الأدبي الفني. إلى جانب "أبي حامد الأندلسي (ت564) بكتابه "تحفة الأصحاب ونخبة الأعجاب " والبيروني "بكتابه " الآثار الباقية "، والإدريسي بكتابه " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق". وقد مثل الرحالة الأندلسي "محمد ابن جبير (ت614) أحسن تمثيل الاتجاه الأدبي برحلته المعنونة "تذكار الأخبار عن اتفاقات الأسفار" حيث اهتم بالصياغة الأدبية إلى جانب المعلومات التاريخية والجغرافية.وقد جاء بعده رحالة كثر لعل أشهرهم "محمد بن إبراهيم "المعروف بابن بطوطة(ت776) الذي يعدّ من أشهر الرحالين شرقا وغربا بكتابه "تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار". [1]

[1] - ينظر : أدب الرحلة في التراث العربي ، فؤاد قنديل ، مكتبة الدار العربية للكتاب ، مدينة نصر القاهرة ، مصر ، ط2 ، 2002م ، ص 70 ، وصفحات متفرقة.

المحاضرة الثانية : نشأة أدب الرحلة وتطوره:

العصور التي مر بها أدب الرحلات ثلاثة على النحو الآتي: العصر القديم والوسيط والحديث.

العصر القديم (منذ أقدم العصور إلى القرن الثالث الهجري، الموافق للقرن التاسع الميلادي)

أول كتاب في حقل أدب الرحلة اطلع وتعرف عليه الباحثون هو كتاب مصنف إغريقي هيرودوت (قبل ميلاد المسيح عليه السلام بقرون)، الذي زار مصر وقبرص وفينيقيا وآشور وإيران، وتوغل في الشمال إلى البوسفور، وأودع مشاهداته في هذه الرحلات تاريخه الكبير.[1]

ونلتقي في القرن الثاني للميلاد ببطليموس الإسكندري، وهو إغريقي الأصل، وقد ترك كتابين في الجغرافية والفلك، ونراه يدون وصفا مفصلا للبلدان والأماكن في عصره ذاكرا أطوالها وعروضها، ومبينا بالرسم مواقعها.[2]

---

[1]- ينظر : بدو العراق والجزيرة العربية بعيون الرحالة ، د. علي عفيفي علي غازي ، ص 23.

[2] - ينظر : أدب الرحلة في التراث العربي ، فؤاد قنديل ، ص 25 ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جواد علي، دار العلم للملايين بيروت ، 1970 ، ج8 ،ص 76-77.

نشأة أدب الرحلة في التراث العربي:

إن نشأة أدب الرحلة في التراث العربي نجده مبثوثا غير مدون في أشعار العرب الجاهلية، يبين الرحالة فيه بعض المعلومات الثقافية، ويُظهر مشاعر تختلج في قلبه بمشاهداته في أثناء الرحلة.

وأجدر أن يعد في أدب الرحلة ما روي في كتب الأحاديث عن هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة، وهجرة أصحابه عليه الصلاة والسلام إلى الحبشة، وبعثاته صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والسلاطين. لأن المرويات عن هذه تكشف لنا المعلومات الثقافية والجغرافية والدينية وغيرها.

ومن أدب الرحلة في فجر الإسلام ما روي عن تميم الداري رضي الله عنه وهو والي رسول الله صلى الله عليه وسلم في أرض بالقرب من الخليل أحد أقاليم فلسطين، ويتحدث تميم عن رحلة له ببحر الشام، حيث قذفت به عاصفة هو وصحبه إلى جزيرة مهجورة، رأوا فيها رأي العين المسيح الدجال. [1]

[1] - ينظر : أدب الرحلة في التراث العربي ، فؤاد قنديل ، ص32. بدو العراق والجزيرة العربية بعيون الرحالة ، د. علي عفيفي علي غازي ، ص26.

و الباحث يجد مزيدا في التراث العربي في ذلك العصر مثل هذه النماذج لأدب الرحلة مما روي في رحلة عثمان بن العاص الثقفي إلى تهانه مومبائي، وفي رحلة العلاء الحضرمي إلى اصطخر .[1]

[1] - ينظر : معجم البلدان ، ياقوت الحموي ،ج4 ، ص 237.صليل السيوف رحلة مع الفتوحات الإسلامية الأولى ، فراس حامد نويران ،المملكة الأردنية الهاشمية ، 2016 ، ص 152.

المحاضرة الثالثة : نشأة أدب الرحلة وتطوره (تابع)

العصر الوسيط (من القرن الثالث الهجري «القرن التاسع الميلادي» إلى بداية النهضة العربية)

هذا هو عصر النضج والازدهار في أدب الرحلة بشكل عام ولا سيما في أدب الرحلات العربي، وإسهامات المسلمين في هذا العصر في حقل أدب الرحلات أكثر من غيرهم على الإطلاق.

ومن أشهر الكتب في أدب الرحلات العربي في هذا العصر:

القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) [1]

كتاب الأقاليم، والبلدان الكبير، والبلدان الصغير، وأنساب البلدان: للغوي المؤرخ هشام الكلبي(ت حوالي 206هـ) .

سلسلة التواريخ لسليمان التاجر، قام برحلات عبر المحيط الهندي و المحيط الهادي إلي بلاد الصين رجاء أن ينقل عروض الهند و الصين إلي البلاد العربية.

القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) [2] :

مروج الذهب ومعادن الجوهر: للمسعودي

[1] - ينظر : أدب الرحلة في التراث العربي ، فؤاد قنديل ، ص70.
[2] - ينظر : المصدر نفسه ، ص 72-73.

رحلة ابن فضلان: لأحمد بن فضلان، إن ملك البلغار طلب من الخليفة المقتدر بعثة . فترتب عليه أن أرسل الخليفة سنة 309هـ/921م بعثة، جعل رياستها لابن فضلان. فقام بمهمته بشكل جيّد.

صور الأقاليم لأحمد بن سهل، أبو زيد البلخي(235 - 322هـ/849-934م)

كتاب البلدان: لقدامة بن جعفر

صورة الأرض: لمحمد أبو القاسم بن حوقل(ت 367 هـ/977م)

عجائب البلدان: لمسعر بن مهلهل أبي دلف

القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) [1] :

تحقيق ما للهند من مقولة، مقبولة في العقل أو مرذولة للبيروني (ت 440هـ)

في منتصف القرن الخامس الهجري شهد أدب الرحلة افتتاح صفحة جديدة من صفحات ذلك الكتاب الفريد، حيث احتلت هذه الصفحة بعض رحالة وجغرافيي المغرب الإسلامي، إذ شرعوا في الدخول إلى هذا العالم، منهم أحمد بن عمر العذري، خلف لنا كتابا، سماه «نظام المرجان في المسالك والممالك»، وأكبر

[1] - ينظر : المصدر نفسه، ص 74.

رحالة الأندلس في هذا القرن أبو عبيد عبد الله البكري (487هـ) وله كتابان: المسالك والممالك، و معجم ما استعجم من أسماء الأماكن والبقاع.

القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) [1]:

يكاد هذا القرن ينافس القرن الرابع في حجم الإنجاز الكبير على صعيد الجغرافيا وأدب الرحلة، وإذا كان القرن الرابع قد تميز بعدد الرحالة الكبير، فقد تميز القرن السادس بقوة هؤلاء الرحالة وأهمية الآثار التي خلفوها، والمناهج التي اتبعوها في جمع المادة وتدوين المشاهدات.

ومن أهم آثار هذا القرن:

تحفة الألباب ونخبة الأعجاب لأبي حامد الغرناطي

المغرب عن بعض عجائب المغرب لأبي حامد الغرناطي

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للشريف الإدريسي (560هـ) هو الذي وضع الخرائط لجميع أنحاء العالم المعمور آنذاك، وصمم كرة من الفضة صورة كافة تضاريس العالم.

[1] - ينظر : المصدر نفسه، ص 75.

ترتيب الرحلات لأبي بكر العربي (ت 543هـ) الذي كان أول من استخدم لفظ «رحلة» في عنوان مؤلف، ويعتبر بهذا أول من وضع أساس أدب الرحلات بالصورة الفنية المأمولة.

رحلة ابن جبير لأبي الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني (ت 614هـ) هو الذي اكتملت على يديه ملامح أساسية لأدب الرحلة العربي، حيث حرص على تدوين مذكراته ومشاهداته يوما بيوم، وتجنب ذكر الغرائب والعجائب التي يميل غيره إليها.

الاعتبار للأمير المجاهد أسامة بن المنقذ (ت 584هـ) رزقه الله عمرا فوق التسعين، وقضى كل عمره في السفر والحرب، وكان صديقا للقائد العظيم الأيوبي.

القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) [1]:

من أهم إنجازات رحالة هذا القرن:

معجم البلدان (7 مجلدات ضخمة) لياقوت الحموي (ت 626هـ) هذا الكتاب منقطع النظير، ولا يزال من أهم المعاجم الجغرافية، التي يركن إليها.

تاريخ المستبصر ليوسف بن يعقوب الدمشقي الشهير بابن المجاور (ت 569هـ)

[1] - ينظر : المصدر نفسه ، ص 76.

الرحلة المغربية لمحمد العبدري ،هذا الكتاب اشتمل على أدق وصف لبلاد الشمال الإفريقي.

القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) [1]:

من أهم كتابات أدب الرحلة في هذا القرن:

مختصر تاريخ البشر لأبي الفداء (ت 732هـ)

تقويم البلدان لأبي الفداء (ت 732هـ)، قد حظي الكتابان بإهتمام خاص لدى مؤرخي العلم في أوروبا.

تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (ذروة أدب الرحلة العربي) لأبي عبد اللّه اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة، يعد كتابه أكثر كتب الرحلة إمتاعا وجاذبية، فضلا عن احتوائه على كم هائل من المادة الأدبية والجغرافية والإثنوغرافية.

التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا لعبد الرحمن بن خلدون (ت 808م) كان تركيزه الأكبر على استعراض سيرة حياته، بينما شغلت رحلته المحل الثاني في الأهمية، مع ذلك فالكتاب يتضمن نصا جيدا في أدب الرحلة العربية، إذ تنوعت وكثرت مخاطرها.

[1] - ينظر : المصدر نفسه ، ص 78.

من القرن التاسع للهجرة إلي بداية النهضة العربية :

من أشهر من قام برحلات إلى الأمصار و البلدان عبد الغني النابلسي (ت 1143هـ/1731م) من فقهاء دمشق الحنفية. كان له يد بيضاء في النظم و النثر فضلا عن علوم الدين. له مؤلفات عديدة. أما كتابه في الرحلة فهو «الرحلة الحجازية». [1]

[1] - ينظر الرحلة في الأدب العربي ، شعيب حليفي ، ص 66.

المحاضرة الرابعة : نشأة أدب الرحلة وتطوره (تابع)

العصر الحديث من بداية النهضة العربية إلى الآن (من مطلع القرن الثالث عشر للهجرة «التاسع عشر الميلادي» حتى الآن)

الرحلات العربية عادت إلى البزوغ والازدهار من جديد في ثوب مختلف مع مطلع القرن الثالث عشر للهجرة (التاسع عشر الميلادي)

فتوجهت رحلات العرب آنذاك إلى أوربا بشكل خاص و عنيت كتبهم بوصف مناظر بلدان أوربا الطبيعية . ثم أعار العرب الاهتمام برحلات نحو الولايات المتحدة الأمريكية. على جانب آخر ألقى بعض الرحالة العرب بالهم إلى التجوال في وسط أفريقيا و جنوبيها. هذا و قد اعتدوا بتطويف في الهند والصين حتى لم يتركوا أي منطقة إلا وقد رحلوا إليها ووصفوها.

أول من قام من العرب برحلة بالمعنى الحقيقي للكلمة في هذا العصر الحديث محمد عمر التونسي سنة 1903م و ألف كتابا في رحلته عنوانه «تشحيذ الأذهان» ، و أيضا اشتهر حينئذ فيما يخص الرحلة الطهطاوي. و كتابه في هذا المجال هو «تخليص الإبريز في تلخيص باريز». [1]

فمن أشهر الرحالة في العصر الحديث :

[1] - ينظر : أدب الرحلة في التراث العربي ، فؤاد قنديل ، ص 80-81.

محمد فريد الذي سافر إلى الجزائر و تونس و فرنسا ، كتابه في هذا المجال هو «من مصر إلى مصر».

و عبد العزيز الثعالبي الذي رحل إلي العالم الإسلامي كله طوال ثلاثين عاما. وذكر مشاهداته ومشاعره في «مذكراته».

أهم الكتب التي ألفت بصدد أدب الرحلة في العصر الحديث [1]:

- «تخليص الإبريز في تلخيص باريز» لرفاعة بك الطهطاوي.
- «السفر إلي المؤتمر» لأحمد زكي باشا.
- «الواسطة في أخبار مالطة» لأحمد فارس الشدياق.
- «الرحلة إلي ألمانيا» لحسن توفيق.
- «رحلة محمد شريف إلي أوربا» لمحمد شريف.
- «صفوة الاعتبار» لمحمد بيرم.
- «رحلات» لمحمد لبيل.
- «ملوك العرب» لأمين الريحاني.
- «إطالة على نهاية العالم الجنوبي» لمحمد بن ناصر العبودي.
- «ذكريات لا تنسى» لمحمد المجذوب

[1] ـ ينظر المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

- «من نهر كابل إلى نهر اليرموك»
- «مذكرات سائح في الشرق العربي» لأبي الحسن علي الندوي.
- «الرحلة إلى المدينة المنورة» للشيخ محمد ياسين.
- «مشاهداتي في بلاد العنصرين» لمحمد ناصر العبودي.

المحاضرة الخامسة : أدب الرحلة في الجزائر

من القرن الثامن عشر إلى القرن العشرين.

1 ـ **في القرن الثامن عشر**: أسهم الرحالة الجزائريون في هذا العصر بمجهودات في هذا المجال، ومارس كتّاب كثيرون هذا الفن، ولاسيما تلك الرحلات التي كان يقصد منها لقاء شيوخ الطرق الصوفية والاجتماع بهم، أو السفر لأداء فريضة الحج. ومن بين أشهر الرحالة الجزائريين في تلك الفترة، نجد " أحمد بن عمار "، و"محمد بوراس المعسكري "، و" الورتلاني "، و" وابن حمادوش الجزائري "، وغيرهم.[1]

إن أقدم هذه الرحلات هي رحلة " ابن حمادوش المسماة " لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال "، وقد باشر المؤلف كتابتها في عام 1743 م، وهي رحلة محشوة بالأخبار والتعاليق والاستطرادات. ويتضح شكل الرحلة في القسم الخاص بحديثه عن " المغرب الأقصى " الذي بدأت الرحلة إليه على ظهر سفينة فرنسية استأجرها ثلاثة تجار جزائرين.[2]

[1]- ينظر : تاريخ الجزائر الثقافي ، أبو القاسم سعد الله ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ج2 ، ص395.
[2] - ينظر : المصدر نفسه ، ص 399.

والرحلة هذه إحدى الوثائق الهامة في الحيوية الثقافية التي شهدها القرن الثامن عشر(12 هـ) الحافل بأسماء لامعة في الفقه والتاريخ والأدب، وإن اقتصرت أخبارها على المغرب والجزائر، وحياة الرحالة بينهما، إلا أنها حافلة بمعلومات مفيدة سياسياً واقتصادياً وثقافياً، واجتماعياً عن القطرين، وحياته أيضاً الصعبة فيها.

أسلوب هذه الرحلة ميّزته السلاسة، تراكيب بسيطة ومباشرة. ويلاحظ عليها التباين في مستويات التعبير بين أجزاء الرحلة التي استغرق تحريرها خمس سنوات في ظروف مختلفة.

- **رحلة " الورتلاني "** المولود في بلدية " بني ورتلان " ولاية سطيف، المعروفة باسم " الرحلة الورتلانية "، وبعنوانها " نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار ". لئن حفلت هذه الرحلة بكلام عن تنقله إلى جهات مختلفة داخل الوطن، من غربه (تلمسان) إلى شرقه (عنابة)، ومن شماله (دلس وبجاية ومدينة الجزائر)، إلى جنوبه (المسيلة، سيدي خالد)، فإن الحديث تركز على حجه، فذكر أنه قصد " تونس " للدراسة. وانطلق منها إلى الحج ليعود إلى الجزائر نحو حج وجهاد وزيارة وعلم وتعلم

وإفادة واستفادة على حد قوله، وقد انتهى من تدوين هذه الرحلة المكونة في الحقيقة من عدة رحلات سنة 1768 م.[1]

والرحلة عموماً من أحسن ما أنتجه القرن الثامن عشر الهجري، ليس لمادتها الجغرافية والتاريخية، وطابعها الفكري والأدبي فحسب، بل لما انعكس فيها من أوضاع مختلفة في الوطن العربي اقتصادية وثقافية واجتماعية وسياسية ودينية.

وقد شهد هذا القرن أيضاً رحلة سياسية عسكرية جسّدت جانباً من سياسة لا تخلو من رعونة تعتمد العنف والارتجال في القرارات، نقلت وقائع وأخباراً جغرافية وتاريخية. وصوّرت أوضاعاً اجتماعية وسياسية وأدبية، وهي رحلة " محمد الكبير" باي الغرب الجزائري، من تأليف كاتبه ومستشاره " أحمد بن هطال التلمساني "، وهي خاتمة للقرن الثامن عشر، وفاتحة للقرن التاسع عشر الميلادي. وقد كتبها " ابن هطال " تنفيذاً لرغبة " الباي " حين نهض انطلاقاً من " وهران " في حملة لإخضاع مناطق في الصحراء الجزائرية إلى سلطة " الداي " .

نحا الكاتب في تحريرها نحواً تقريرياً، جعلها أقرب إلى عرض حال عن الغزوة وما صاحبها من عناء. لكن ذلك لا ينفي وجود فقرات جيدة في الوصف، غالباً ما اتسمت فيها الكلمات بالطلاوة والسجع أحياناً.

[1]- ينظر : الجزائر الثائرة ، الفضيل الورتلاني ، دار الهدى عين مليلة ، الجزائر ، ص367.

2 ـ **في القرن التاسع عشر**: عرف القرن التاسع عشر نماذج للرحلات، اختلفت مساراتها، وتعددت مقاصدها، وتباينت مستويات التعبير فيها، كما اختلفت أهمية أصحابها الفكرية والسياسية والاجتماعية. فهناك الرحلة الحجازية التي اتخذت وجهتها الحجاز لأداء فريضة الحج وهناك الرحلة السياسية التي اكتست طابعاً سياسياً في شكلها العام، وهناك الرحلة الاستطلاعية التي اتخذت طابعاً جغرافياً تاريخياً استطلاعياً.[1]

الرحلة الحجازية:

يمثل نموذج الرحلة الحجازية (الرحلة للحج) رحلة " محمد بوراس الناصر المعسكري " بعنوان " فتح الإله ومنّته في التحدث بفضل ربّي ونعمته "، كتبها وهو في الثمانين من عمره، أي سنة 1817، خمس سنوات قبل وفاته.

والرحلة عموماً في صميم " السيرة الذاتية "، لأن حديث الكاتب عن سيرته الذاتية غطى معظم مادة الكتاب. لكن بشكل عام هناك حديث عن صلته بالمحيط والأوضاع الاجتماعية والتاريخية وغيرها. وقد ورد الحديث عن رحلته في الباب الثالث المعنون " في رحلتي للمشرق والمغرب وغيرهما ولقاء العلماء الأعلام وما جرى لي معهم من المراجعة والكلام ". وهو ما يكشف مساره في الرحلة والقضايا

[1] - ينظر : **البصائر**، **سلسلة** 2 ، **العدد** 33 ، الصادر بتاريخ 2 جمادى الثانية 1367 هـ (12 أفريل 1948م) ، ص3.

التي شغلته، وما كان يجذب اهتمامه فيكون محور تفكيره ومجال العلاقات العامة والخاصة في رحلته.

تحدث عن المدن التي زارها، وتوقف بها في مرحلة الذهاب من غرب الجزائر حتى فلسطين، مروراً بتونس والقاهرة ومكة والمدينة، دون أن يتحدث عن مرحلة الإياب، كما أنه لم يتحدث بشكل مميز عن أدائه مناسك الحج، وهو ما يؤكد نقطة مهمة في شخصيتهن وهو اهتمامه بلقاء رجال العلم والثقافة في كل مكان حلّ به، دون أن يستهويه ذوو السلطان والجاه. وقد عبّر عن سعادته كلما اكتشف مستوى علمياً رفيعاً لدى علماء البلد. وتعظم تلك السعادة حين يجد نفسه منتصراً عليهم في جلسات المناظرة والنقاش. وقد احتل الحديث عن لقائه بعلماء الأقطار العربية التي لها المكانة الأساسية في الرحلة.

بدأت الرحلة من حيث أسلوبها في قالب سردي اقرب إلى التقرير في معظم الفقرات، نحا نحو الدقة العلمية خصوصاً في ثبت الأسماء والمناسبات، وبأسلوب أدبي يظل في بعض الفقرات كوصفه لبعض المدن بأناقتها وجمالها. وتبقى هذه الرحلة شاهداً حيّاً عن أوضاع مختلفة، وعن طبيعة العلاقات بين أبناء الأمة العربية، وفي مقدمتهم علماؤها، بتوددهم وتآزرهم وشغفهم العلمي وتنافسهم الشريف فيه. وإن انطلقت رحلة " حج " لكن فسحت المجال بعدها للحديث عن صلات إنسانية

حميمية عميقة في التواصل والمودة والمحبة. ومن خلالها أيضاً ظلت صورة مشرقة للإنسان، والمدن العربية ذات الروعة والأناقة بمعالمها الثقافية والحضارية وجمالها الساحر وطبيعتها الزاهية.

و قد دون "الأمير عبد القادر " رحلته إلى الحجاز والشام وبغداد ضمن مذكراته التي تروي سيرته الذاتية والتي جمعها ونشرها بعض الباحثين فيما بعد(عبد القادر بن محي الدين ،مذكرات الأمير عبد القادر ،سيرة ذاتية تحقيق محمد الصغير بناني وآخرون)وقد جاءت الأخبار عن رحلته موجزة في هذه السيرة الذاتية لأنه كان يركز على حياته النضالي وعلى الرغم من ذلك نستطيع التعرف على مسار رحلته الدقيق ومجمل أعماله خلال السفر وأشهر العلماء الذين لقيهم إلى جانب بعض انطباعات المؤلف وآرائه حول البلدان التي اجتازها في رحلته وسكانها.

- **الرحلة الاستطلاعية (الجغرافية التاريخية):** يمثل هذا النوع رحلة " الحاج ابن الدين الأغواطي " بعنوان " رحلة الأغواطي في شمال إفريقيا والسودان والدرعية ". كُتبت الرحلة بالعربية في حدود (1826 ـ 1829) بناءً على طلب " وليام هيدسون " مساعد القنصل الأمريكي في الجزائر في الفترة (1825 ـ 1829)، مقابل مبلغ مالي. فأنجز " الأغواطي" عمله هذا وقبض الثمن من " هودسن " ذي النزعة

الاشتسراقية الحريص على جمع معلومات جغرافية وتاريخية ولغوية، خصوصاً عن البربرية. ترجم هذه الرحلة إلى الإنجليزية، وقد بقي النص العربي مجهولاً، وهو ما حفّز الدكتور " أبو القاسم سعد الله " على إعادة النص إلى العربية في نحو تسع عشرة صفحة. [1]

جمعت الرحلة في مسارها بين الداخل والخارج، وقد حاول أن يعين مسالك، ويوضح معالم، ويحدد مسافات بين مناطق ومدن. ويجلّي طبيعة هذه الجغرافيا، وهندسة بناء، ونظام حكم وتقاليد اجتماعية وغيرها، فعكست بذلك الرحلة كثيراً من الأوضاع المختلفة، التاريخية والجغرافية والسياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية. إنها رحلة برؤية استطلاعية غلب عليها الجانب الجغرافي التاريخي عن مواقع مدن، وأحوال ناس، لغة وعادات وتقاليد، وأزياء وسواها.

- **الرحلة السياسية** [2]: في الرحلة السياسية نماذج تتكامل في بعض الأحيان، وتختلف أحايين أخرى. فمن النماذج المتكاملة رحلتان اتجه صاحبهما إلى باريس، أولاها رحلة " سليمان بن الصيام " إلى فرنسا سنة 1852، وتدعى " الرحلة الصيامية " من مليانة إلى الجزائر العصمة في اتجاه باريس، والرحلة الثانية هي رحلة " محمد السعيد بن علي الشريف " على فرنسا في نفس العام، بل كانا في نفس

[1] - ينظر : الإصائر ،سلسلة 2 ، العدد 33 ، الصادر بتاريخ 2 جمادى الثانية 1367 هـ (12 أفريل 1948م)
[2] ينظر : أدب الرحلة في النثر الجزائري ، عمر بن قينة ، رسالة دكتوراه ، معهد الأدب العربي ، جامعة الجزائر 1992م ، ص 330.

الوفد الذي زار فرنسا لحضور المهرجان الضخم الذي أقيم احتفالاً بتنصيب " نابليون الثالث ".

اهتم " محمد السعيد بن علي الشريف " في رحلته بأمور وظواهر كثيرة بسبب ثقافته المتنوعة، فحينما قُدّر له أن يزور بيئة جديدة عليه، لم يكن مجرد سائح أو مُسجّل لمشاهد رآها بعينه، وإنما حاول أن يستخلص بعض النتائج وأن يقارن بين الجديد الذي شاهده والقديم في بيئته، وساعدته على ذلك ثقافته الفرنسية التي تكونت له بعد أن ظهر ولاءه للحكام الفرنسيين، وخاصة الماريشال " بيجو "، وارتبط بالإدارة الفرنسية التي استدعته ليكون ضمن الوفد المسافر إلى المهرجان المشار إليه.

أما رحلة " سليمان بن الصيام " في نفس الوفد، فقد كانت غنية بالوصف، حيث وصف فيها الطبيعة والآثار والقصور ومراسيم الاحتفال والقطار والباخرة والمسارح وغيرها من مظاهر الحضارة والعمران.

والرحلتان تتفقان في روح المجاملة للإدارة الفرنسية التي أوفدتهما لحضور المهرجان والتي يعملان في خدمتها، وهما يمثلان نموذجاً طيباً عن أدب الرحلات في الأدب الجزائري الحديث، إلى جانب رحلة أخرى جاءت بعد ست وعشرين سنة، وهي رحلة " أحمد بن قاد " في رحلته " الرحلة القادية في مدح فرنسة وتبصير أهل

البادية، وهي رحلة للمشاركة في معرض دولي، ركز فيها على مظاهر الحفاوة وحسن الاستقبال، كما عبّر عن إعجابه الشديد بما شاهد في المعرض من غرائب الصناعات والاختراعات البديعة الرائعة من آلات النسيج والزراعة وآلات التبريد، لكنه يعوض في رحلته هذه للفرق الشاسع بين فرنسا المحتلة، وفرنسا المتحضرة وبين الوضع المهيمن في بلده، والوضع المشرق في فرنسا، لذلك، نجد وإن اتفقت هذه الرحلة مع السابقين في الدعاية للاحتلال الفرنسي، والانبهار بالحياة الفرنسية بوجهها السياسي والصناعي والاجتماعي، إلا أنها تعرض في ختام الرحلة حال الجزائر بلده المهان، مُعرِباً عن ظنه في أن حال الجزائر المزري تسبب فيه اليهود والمعمرون الذين يستغلون الأرض والإنسان يصادرون تلك، ويضطهدون هذا وذاك ليس من خطط الاحتلال الذي ينجز كل شيء بحساب.[1]

هذه الرحلات بوجه عام تكمن أهميتها في طبيعة الاحتكاك بالغرب، وحتى وإن كانت بمباركة الاحتلال للثناء غليه، فقد حملت ضمنياً إدانة تاريخية له لما لحق الجزائر من قمع وتفقير واضطهاد، وما أصاب لغتها العربية من ضعف وركاكة لحقت الصياغة والركاكة، لأن لغة هذه الرحلات وصياغتها بدت دون مستوى سابقاتها، فعكست بذلك التدهور الذي شهده النثر الجزائري إبان الاحتلال.

[1] - ينظر : البصائر ،سلسلة 2 ، العدد 33 .

3 ـ في القرن العشرين: اختلفت رحلات القرن العشرين عما سبقها من حيث الهدف والاتجاه، كما اختلفت مضموناً وأسلوباً. لئن كانت الرحلات السابقة قد اتجهت إلى خارج الوطن، فإن رحلات هذه الفترة اتجهت أكثر إلى داخل الوطن، وخاصة تلك التي قام بها رجال الإصلاح لهدف الفكرة الإصلاحية ونشرها بين الجماهير، ودعوتها إلى اليقظة والنهوض. كما اتجه البعض الآخر إلى المشرق العربي، أو إلى أوربا والاتحاد السوفياتي والصين. وكان الهدف منها أيضاً خدمة الشعب الجزائري بالتعريف بقضيته من جهة، وبنقل مشاهدات تفيده من قريب أو بعيد من جهة ثانية. كذلك اختلف المحتوى والأسلوب عن الأنواع السابقة إلى حد بعيد.

كانت رحلات رجال الحركة الإصلاحية في الداخل تصور مدى تعلق الشعب بالحركة وبعلمائها، نلمس ذلك في رحلات " ابن باديس" التي سجلها، وأبرز فيها زياراته المختلفة لمدن وقرى القطر الجزائري، وهو يطلق عليها لفظ " تنقلات ". ويصرح بهدفه من وراء رحلاته وهو تذكير الناس بدينهم، وحثهم على الرجوع إليه، ثم يأخذ في وصف جولاته بذكر أسماء مدن قرى كثيرة، ويتحدث عن المساجد ويدعو إلى بناء مثلها. كما يذكر أسماء شخصيات معروفة التقى بها هنا وهناك، إلى جانب رحلته إلى تونس المعنونة " في تونس العزيزة ".

إلى جانب رحلات البشير الإبراهيمي الكثيرة داخل الوطن وخارجه. وكان أسلوبه في هذه الرحلات يمتاز بالعناية الشديدة بالصياغة والبيان والجمال الأدبي.وقد رحل إلى المشرق عام 1952 ضمن نشاطات ج ع م مبلغا لطلبات الجمعية لدى الحكومات ومعرفا بالقضية الجزائرية وبنضال شعبه ضد الاحتلال .كما قصد دولة الباكستان عام 1958 وشملت رحلته هذه الحديث عن باريس وروما ومصر التي مرّ بها أثناء هذه الرحلة.وقد حدد الأهداف المتوخاة من هذه الرحالة بدراسة أحوال المسلمين في مواطنهم والاتصال برجال الدين ودراسة أحوال الحكومات الإسلامية إضافة إلى التعريف بالجمعية والجزائر .[1]

والرحلة تحوي أخبارا متنوعة جغرافية وتاريخية بأسلوب وصفي دقيق مع روح دعابة خفيفة ولغة واضحة وأسلوب تقريري إخباري في غالب الأحيان.

ولعل أهم الرحلات التي تحمل طابعاً سياسياً قومياً، رحلات " أحمد توفيق المدني " داخل الجزائر وخارجها، في أوربا والعالم الإسلامي والعربي.

ولقد كان إنتاجه أكثر غزارة من " ابن باديس "[2]، لأنه تفرغ إلى الكتابة والتأليف، إلى جانب نشاطه السياسي بعد 1956(بعد اندلاع الثورة).

---

[1]- ينظر : البصائر ،سلسلة 2 ، العدد 33 .

[2]- ابن باديس حياته وآثاره ، عمار طالبي ، دار مكتبة الشركة الجزائرية للكتاب ، الجزائر ، ط1 ، ج 4 ، 1388هـ ، ص 297.

وابتداءً من سنة 1955 تاريخ أول رحلة خارجية إلى " المغرب "، تعددت رحلات الشيخ " المدني " الخارجية وتنوعت، خصوصاً في الوطن العربي. فكانت القاهرة ودمشق وبغداد والسعودية والكويت والأردن وليبيا وتونس والسودان والصومال.

وقد صورت رحلاته التجاوب العربي العميق رسمياً وشعبياً مع الثورة الجزائرية منذ انطلاقها. وبدت معظم الأقطار العربية متجاوبة مع الثورة باختلاف أنظمتها وأوضاعها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لكن باختلاف واضح أولاً في حرارة ذلك التجاوب، وفي حجم الدعم المادي والسياسي.

وهناك رحلة أخرى إلى المشرق العربي كتبها " محمد المنصوري الغسيري " حين ذهب عام 1953 مع وفد الكشافة الإسلامية الجزائرية إلى مصر، ومنها انطلق مع الشيخ البشير الإبراهيمي إلى الحج، ثم إلى بعض أقطار المشرق، وهو لم يكتف في رحلته هذه بتسجيل مشاهد وصور، بل عبّر فيها عن انطباعاته ومشاعره وأحاسيسه بما يرى. ولكن من زاوية العالم المصلح الذي يدعو إلى فكرة معينة ويلح عليها، وأجرة فيها مقارنة بين واقع المشرق العربي الذي تحررت معظم أقطاره من الاستعمار، وبين الواقع المؤلم الذي يعيشه الشعب الجزائري. وفي مواقف كثيرة يستشهد بالشعر مما ينبئ عن ثقافة عربية واسعة.

وهناك رحلات أخرى مختلفة، كرحلة " محمود بوزوزو " إلى فرنسا سنة 1939 بعنوان " من وحي البرلمان الفرنسي "، إلى رحلة " حمزة بوكوشة " إلى المغرب الأقصى.و"الطيب المهاجي "برحلاته إلى فاس والحجاز و التي ذكرها في كتابه(أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر)

وعموماً حاول الكتّاب الجزائريون في هذه الفترة كتابة مذكراتهم بوصف رحلاتهم الداخلية والخارجية، وتسجيل مشاهداتهم ولقاءاتهم في قالب أدبي. ولذلك نجد من يسمي هذا الأدب " أدب المذكرات " بدل " أدب الرحلات "، مثل عبد المالك مرتاض. وهناك من يسميه " أدب السياحة "، على اعتبار السياحة رحلة تلقائية حرة إلى مكان مرغوب فيه، بنيّة التجوال والتمتع والاستطلاع والفضول والاكتشاف.

والأدب السياحي هو ثمرة كل ذلك في شكل جمالي يطبعه الإمتاع الوصفي والتنميق الكلامي، والتبليغ الانطباعي الذي يمتاز ببساطة الوظيفة الإخبارية. وقد أسهم في ترسيخ هذا النوع من الأدب الدكتور " عبد اللّه الركيبي " بكتب سمّاه " في مدينة الضباب ومدن أخرى "، ثم أردفه بعنوان فرعي " سياحة أدبية "، وقد نشره عام 2003، بعد ما كتب قبله " الجزائر في عيون الرحالة الإنجليز " عام 1999.

لقد سيطر الحديث عن مدينة الضباب " لندن" في هذا الكتاب إلى جانب مدن أخرى زارها في أزمنة متقاربة حيناً، ومتباعدة حيناً آخر، ولأمكنة مختلفة، عربية وأجنبية، كمصر وسوريا وفرنسا والفيليبين والمجر وألمانيا وروسيا.

أما عن فنيات الأدب السياحي عند " الركيبي "، فإننا نلاحظ أن أدبيته تفتر أحياناً في المواقف التي يطغى عليها السرد التاريخي، والإخبار السياسي. وفي موقف أخرى تسمو ويطيب جمالها خاصة من المواقف التي تتخللها مشاهد وصفية ممتعة، منسوجة من وحي المكان.

والكِتَاب على العموم زاخر بكثير من الأساليب الفنية التي استمدها الكاتب من تمرسه المبكر بالفن القصصي. وفي الكِتَاب كذلك نفحات من روح التسامح الحضاري، إذ تتداعى الأمكنة والتجارب في العين والذاكرة. ويمكن اعتبار هذا النص السياحي عن " الركيبي " واحة فنية تعكس تجربة مكانية خارج البلاد.

ولا يفوتنا ذكر رحلة هامة قام بها الأديب " أحمد رضا حوحو " إلى الاتحاد السوفياتي سنة 1950 ، وقد سجل فيها ما شهده من تطور حضاري، وصناعي، وتقدم ثقافي في روسيا. وحاول أن ينقل صورة صادقة للبيئة الجديدة التي ذهب إليها. وتعد قيمة هذه الرحلة في موضوعها ، ما قدمه من معلومات وأشياء جديدة. أما من الناحية الفنية، فقد ابتعد الكاتب عن الأسلوب الفني مغلباً عليه الأسلوب

الصحفي.إلى جانب رحلة "عثمان سعدي"المعنونة "وطني و المنشورة في جريدة البصائر عام 1953 ورحلة"محمد علي دبوز"من الجزائر إلى القاهرة إلى طانطا (الريف المصري)و التي عنونها"وقفة في دار الرافعي وعلى قبره" حيث تحدث عن مصطفى صادق الرافعي بعد الرحلة إلى مسقط رأسه(طنطا) واكتشاف الأماكن و المعالم التي كان يرتادها .وقد نشرت الرحلة في البصائر سنة1955.ورحلة "أبو القاسم سعد الله"إلى السعودية وهي من الرحلات العلمية إذ كانت تهدف حضور الندوة العالمية الأولى المخصصة لمصادر الجزيرة العربية وقد عنونها "رحلتي إلى الجزيرة العربية وطبعها في كتابه الموسوم"تجارب في الأدب و الرحلة".

ونختم برحلات "أحمد منور" المتعددة ،فمنها ما كان أوربية الوجهة مثل رحلته إلى فرنسا وانجلترا سنة1976 وكانت لغرض السياحة و التجوال ومنها ما كان مشرقي الوجهة كرحلاته إلى ليبيا ومصر والكويت ، وكانت الأخيرتين لغرض ثقافي.وقد نشرت رحلاته إلى أوربا في جريدة السلام سنة1996.ونشرت باقي الرحلات في جرائد عربية كجريدة العرب الليبية (1991) والقبس الكويتية (1996).

إذا تطور فن الرحلة في الجزائر في العصر الحديث واهتمت إلى جانب الجغرافي و التاريخي بنقل الانطباعات و المشاعر والتصورات كما نقلت قضايا

إيديولوجية وثقافية وحضارية من وجهات نظر الكتاب وتعددت الأغراض أيضا من دينية إلى تعليمية إلى تجوال وسياحة و قد استجدت دواعي أخرى لذلك كحضور الملتقيات والمهرجانات والتظاهرات الثقافية وأداء مهام سياسية أو دبلوماسية.وقد اختلفت طرق تدوين هذه الرحلات فمنها ما استقل بكتب كاملة ومنها ما أخذ حيزا في كتب أخرى ككتب السير أو المذكرات ومنها ما ظل حبيس الجرائد و المجلات .

المحاضرة السادسة : أغراض الرحلة

تتعدد الدوافع التي تحمس الإنسان للرحلات، وتختلف من شخص إلى آخر، ومن قوم لقوم، ومن عهد لعهد، إلا أنها في الأغلب لا تخرج عن أن تكون:

1- دوافع دينية [1]:

وهذا القسم يتعدد بتعدد أنواعه:

أ- الهجرة: الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام، لما نهي عن العمل بالشريعة، وعن القيام بالشعائر.

ب – أداء فريضة الحج: وهي فرض بالنسبة لحجة العمر لمن استطاع إليه سبيلا.

ج- الرحلة للجهاد أو الرباط في سبيل اللّه.

د- الرحلة بقصد العبرة والاتعاظ. (قل سيروا في الأرض فانظروا، كيف كان عاقبة المكذبين)

هـ- تبليغ الدعوة إلى أقطار العالم.

2- دوافع علمية أو تعليمية [2]:

[1] ـ أدب الرحلة في التراث العربي ، فؤاد قنديل ، ص 19.
[2] ـ المصدر نفسه ،الصفحة نفسها .

بغرض الاستزادة من العلم في منطقة أخرى من العالم، ذاع صيت أبنائها في مجالات العلوم كالحديث والفقه والطب والهندسة وغيرها.

ومن قبيل ذلك أيضا رحلات البحوث العلمية والكشوف الجغرافية.

3- دوافع سياسية [1]:

كالوفود والسفارات التي يبعث بها الحكام إلى حكام الدول الأخرى؛ لتوطيد العلاقات، ولتبادل الرأي.

4- دوافع حربية:

وكانت لا تهدف غالبا إلاَّ إلى التوسُّع في الأرض على حساب الأمم الضعيفة؛ بغرض استغلال مواردها، وفرْض سيادتها والسيطرة عليها.

5- دوافع سياحية و ثقافية [2]:

تصدر عن رغبة في الطواف نفسه والسفر لذاته، وحب التنقل وتغيير الأجواء، ومعرفة الجديد من خلق الطبيعة والبشر، وقد تكون لمعرفة المعالم الشهيرة كالآثار والمنارات وغيرها.

[1] - الرحلة في الأدب العربي، شعيب حليفي، ص 20.
[2] - المصدر نفسه ،الصفحة نفسها .

6- دوافع اقتصادية [1] :

للتجارة وتبادل السلع،أو لفتح أسواق جديدة لمنتجات محلية، أو لجلب سلع تتوافر في بلاد أخرى، وتندر في بلد المسافر. وقد يكون هربا من الغلاء، وسعيا وراء الرخص.

وقد يكون للعمل.

7- دوافع صحية:

كالسفر للعلاج أو الاستشفاء،أو إراحة النفس من ألوان العناء وتخليصها من الكدر كالارتحال إلى المناطق الريفية ونحوها. وقد يكون هربا من الوباء والطاعون والتلوث.

8- أغراض أخرى [2]:

كالسخط على الأحوال، أو الهروب من العقوبة.

[1]- المصدر نفسه ،الصفحة نفسها .
[2] - المصدر نفسه ،الصفحة نفسها .

المحاضرة السابعة : أدب رحلات الحج.

لقد حظيت رحلة الحج بعناية خاصة من لدن العلماء والرحالة والمؤرخين عبر مراحل التاريخ الإسلامي، ولقد تجلى ذلك في كثرة ما دار حولها من المؤلفات منذ وقت مبكر إلى وقتنا هذا ولا مراء في أن موضوع رحلة الحج في كتابات وعيون الرحالة والمؤرخين شاسع وواسع ومتعدد الجوانب حيث تمثل رحلة الحج حجر الزاوية.

من كتب رحلات الحج بعضها كتاب خاصٌّ عن رحلة الحج فقط، وبعضها كتاب رحلة عامَّة ضمَّنها مؤلفها حديثاً عن رحلته إلى الحج والحجاز.

1- تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار لابن جبير (كتاب رحلة عامَّة ضمَّنها مؤلفها حديثاً عن رحلته إلى الحج والحجاز.) قد قام برحلته إلى الحجاز 579هـ.[1]

هي رحلة جليلة، فيها لمسات أدبية جميلة، وليس في رحلته إلا مؤاخذات خفيفة، كعده أنه لا إسلام صحيحا إلا في المغرب.

[1] - ينظر : رحلة ابن جبير أبي الحسين أحمد، دار صادر، لبنان 1400هـ-1980م. رحلة ابن جبير ورحلة ابن بطوطة، لمحمد مصطفى زيادة، القاهرة 1939م.

2- ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة للشيخ ابن رُشيد الفهري (كتاب رحلة عامَّة ضمَّنها مؤلفها حديثاً عن رحلته إلى الحج والحجاز). قد قام برحلته إلى الحجاز 684هـ [1].

رحلته جميلة جليلة، فيها عدد من المسائل الفقهية، وفيها وصف للحرمين جميل لطيف،وفيها اعتناء بمسائل الأدب، وفيها تراجم لجمع غفير من أهل العلم.

3- مستفاد الرحلة والاغتراب للشيخ قاسم بن يوسف التُجيبي (كتاب رحلة عامَّة ضمَّنها مؤلفها حديثاً عن رحلته إلى الحج والحجاز). قد قام برحلته إلى الحجاز 696هـ.

وهي جليلة أيضا، من أهم ما جاء في هذه الرحلة إظهارها بوضوح مدى الصعاب الجسيمة التي يتجشمها راكب البحر في ذلك العصر. فيها الكثير من القصص، وشيء يسير من التصوف.

4- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار لابن بطوطة (كتاب رحلة عامَّة ضمَّنها مؤلفها حديثاً عن رحلته إلى الحج والحجاز) قد قام برحلته إلى الحجاز 726هـ. [2]

[1] - ينظر : ملء العيبة (الجزآن 2، 3) للرحالة ابن رشيد، تحقيق: د. ابن الخوجة، تونس 1402هـ-1982م

[2] - ينظر : رحلة مع ابن بطوطة لمحمود الشرقاوي، القاهرة 1968م ، مهذب رحلة ابن بطوطة، تأليف: أحمد بك العوامري ومحمد أحمد جاد،ط بولاق 1939م.

رحلته أشهر الرحلات مطلقا ، وأسلوبه معروف، فهو يكثر من سوق الحكايات ويتوسع في ذكر التراجم.

5- ماء الموائد للعياشي (كتاب خاصٌّ عن رحلة الحج فقط.) قد قام برحلته إلى الحجاز 1072هـ.[1]

هي رحلة مفيدة شاملة لكثير من تفاصيل الحياة الاجتماعية والدينية والاقتصادية في الحجاز، ويعدها بعض المعاصرين أوفى الرحلات وأكثرها فائدة على الإطلاق.

6- الرحلة الحجازية للشيخ عثمان بن إبراهيم السنوسي، قد قام برحلته إلى الحجاز 1299هـ.[2].

هي جزء من رحلة طويلة، زار أثناءها المصنف بعض دول أوربا، فيها تفصيلات عن وضع الحجاز العلمي والديني والسياسي، وللمصنف إلمام حسن بعلم التاريخ، وهو متمكن من ناحيتي الفقه والأدب.

7- مرآة الحرمين للواء إبراهيم رفعت باشا: (كتاب خاصٌّ عن رحلة الحج فقط).

[1]- ينظر : الرحلة العياشية (**ماء الموائد**)، لأبي سالم العياشي، الرباط 1397هـ-1977م.

[2] - ينظر : البيان المغرب في أخبار الأندلس **والمغرب لابن عذارى**.ط. بيروت ، صفحات متفرقة.

قد حج المصنف أربع مرات، فجعل رحلته الأولى سنة 1318هـ أصلا، ثم أضاف إليها معلومات مهمة، استقاها من رحلاته الثلاث التي قام بها بعد ذلك.

هي رحلة ضخمة من أهم الرحلات، ولقد زاد في قيمتها احتوائها مئات الصور الشمسية لجدة ومكة والمدينة والمشاعر، وفي الكتاب تفصيل واف كاف عن كل ما يتعلق بالمناسك تاريخا وواقعا، وفيه وصف كامل لمكة والمدينة، وفيه مسائل فقهية وتاريخية كثيرة، وكل ذلك في ثوب أدبي ممتع.[1]

8- الرحلة الحجازية للأستاذ محمد لبيب البتنوني (كتاب خاصٌّ عن رحلة الحج فقط). قد قام برحلته إلى الحجاز 1327هـ.

في الرحلة حديث مطول عن الحرمين تاريخا وفقها وسياسة واقتصادا، وفيها حديث عن تاريخ الحج في الإسلام وعند غيره من الديانات والشعب.

9- ما رأيت و ما سمعت لخير الدين الزركلي (كتاب خاصٌّ عن رحلة الحج فقط). قد قام برحلته إلى الحجاز 1339هـ.

هذه الرحلة على قمة البلاغة والقوة الأدبية، وزار المصنف الطائف. فوصفها وبواديها وبساتينها وأهلها وصفا مفصلا شاملا.

[1] - ينظر : المصدر نفسه ، صفحات متفرقة.

10- الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف للأمير شكيب أرسلان (كتاب خاصٌّ عن رحلة الحج فقط). قد قام برحلته إلى الحجاز 1348هـ.

ذكر في هذا الكتاب جوانب تاريخ مهمة عن الجزيرة العربية، وذكر طرقها ومعادنها وهوائها، وزار الطائف، فوصفها وصفا مفصلا شاملا.

وكتب هذه الرحلة بأسلوب بليغ جزل رصين، أتى فيه أحيانا بكلمات غريبة جريا على عادته.

11- في منزل الوحي للدكتور محمد حسين هيكل (كتاب خاصٌّ عن رحلة الحج فقط). قد قام برحلته إلى الحجاز 1355هـ.

هي من أطول الرحلات وأكثرها فائدة، فقد جمعت تقريبا كل الفوائد التي ذكرت في الرحلات السابقة، وهذا الحج يعد تحولا في حياة الدكتور الذي كان بعيدا عن الفكر الإسلامي.[1]

[1] - ينظر : أشهر رحلات الحج (ج1) لحمد الجاسر، منشورات دار الرفاعي بالسعودية 1402هـ-1982م.

المحاضرة الثامنة : أبو الحسن المسعودي [1]

أما النصف الأوّل من القرن الرابع الهجري والنصف الأوّل من القرن العاشر الميلادي فيمثِّله أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت 346هـ / 957م)،

هو علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن المسعودي المؤرخ والرحالة، والجغرافي من ولد عبد اللّه بن مسعود، صاحب النبي (صلى اللّه عليه وسلم)، ذكره ابن النديم فقال انه من أهل المغرب، وذكره جمال الدين الأسنوي في طبقات الشافعية فقال : أصله من بغداد ، كذلك تقول عنه «الموسوعة العربية الميسرة » أنه:

ولد ونشا في بغداد ، ويكرر ذلك منير البلعلبكي في «موسوعة المورد» فيقول: ولد في بغداد وتوفي في الفسطاط ، ويتابعهم في ذلك المنجد في الأعلام فيقول: ولد في بغداد من عائلة تنتسب إلى الصحابي ابن مسعود . . .

ما رواه هو عن نفسه و عن مكان ولادته . في كتابه " بمروج الذهب " قال: «وأوسط الأقاليم إقليم بابل الذي مولدنا به وإن كانت ريب الأيام أنات بيننا وبينه و ساحقت مسافتنا عنه، وولدت في قلوبنا الحنين إليه إذ كان وطننا ومسقطنا.» نقلا عن ياقوت الحموي في معجم الأدباء . فهو إذا ولد في بابل بالعراق وتوفي سنة ست أربعين وثلاثمائة، أو خمس وأربعين وثلاثمائة، و قد أجمعوا على أنه توفي

[1] - ينظر : مروج الذهب ، المسعودي ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ،بيروت. أدب الرحلة في التراث العربي ، فؤاد قنديل ، ص 211.

بالفسطاط . سافر إلى بلاد كثيرة، فزار فارس وكرمان والهند و سرنديب (سيلان/سيريلانكا) ومدغشقر وما وراء النهر وآذربايجان وجرجان والشام وأخيرا قصد مصر واستقربها ، وكان من قبل قد أمضى شبابه في بغداد أهم كتبه هو "**مروج الذهب و معادن الجوهر**"، وهو تاريخ عام يبدأ بالخليقة وينتهي بسنة 947م .

و في أواخر أيامه كتب خلاصة لما كتبه مع بعض الإضافات، تحت عنوان (كتاب التنبيه والإشراف)[1].

برع المسعودي في ألوان متنوعة من العلوم والفنون والثقافات الأدبية واللغوية والفقهية في عصره، كما ألم بالتاريخ والجغرافيا والفلسفة، وتعلم كثيرا من اللغات، كالفارسية، والهندية، واليونانية، والرومية، والسريانية . ثم رحل إلى مختلف البلدان العربية وغير العربية . واستفاد من هذه الرحلات وجمع كثيرا من الحقائق التاريخية والجغرافية، مما جعل المفكرين يعدونه مؤرخا وجغرافيا ورحالة

بدا المسعودي رحلاته سنة 309 هـ وغادر بغداد إلي الأطراف الشرقية من الدولة العباسية، فطاف ببلاد فارس وكرمان، واستقر فترة في اصطخر.

وفي السنة التالية اتجه المسعودي شطر الهند وملتان والمنصورة ثم عرج علي كنباية وصيمور، وأقام فترة في بومبي، وفترة أخرى في سرنديب (سيلان .) ومن هناك

[1] ـ ينظر : المصدر نفسه .

ركب البحر مع بعض التجار إلي الصين، وجاب المحيط الهندي وزار جزائره وموانيه، وعاد فزار مدغشقر وزنجبار، ورجع إلى عمان .

رحلة المسعودي الثانية بدأت في 314 هـ . إلى ما وراء آذربايجان وجرجان، ثم إلى الشام وفلسطين . وفي 332 هـ رحل إلى إنطاكية وزار ثغور الشام، ثم عاد إلى الشام واستقر فترة في دمشق، وتنقل بين العراق والشام ومصر، وأخيرا استقر في مصر . والسبب في عدم عودته إلى وطنه العراق، بالرغم من حنينه إليه، هو الوضع المضطرب الذي كان سائدا في بغداد بسبب التنازع على السلطة بين القوي غير العربية من أتراك وبويهيين، هذا بالإضافة إلى اشتهار مصر بالهدوء والاستقرار وبنهضتها العلمية الثقافية . وهناك أتم تأليف كتابه «مروج الذهب » سنة 336 هـ والذي كان قد باشر بكتابته سنة 332 هـ ، كما انه شرع بوضع كتابه «التنبيه والإشراف » في الفسطاط في 344 هـ.

لقد اثر المسعودي في الدراسات التاريخية والجغرافية تأثيرا عميقا واضحا، فقد وضع أسس مدرسة جديدة في الدراسات التاريخية، فاهتم بالتحليل التاريخي والبحث عن الأسباب والدوافع، وفقد الأحداث . وحذا ابن خلدون حذوه في منهجه وزاد عليه، مما ميزه عن كثير من المؤرخين والمفكرين[1].

[1]- ينظر : المصدر نفسه .

كذلك كان تأثير المسعودي في الدراسات الجغرافية التي أقامها على أسس جديدة، فرحلاته لم تكن للنزهة أو التكسب، إذ تدل كتبه على معرفة واسعة باللغات والعادات والتقاليد والآداب والأخلاق والسياسية، وهو أعمق وأدق من غيره من الرحالة والجغرافيين. [1]

[1] - ينظر : أخبار الزمان ، أبو الحسن المسعودي ، الناشر عبد الحميد حنفي، القاهرة ، 1938 . أدب الرحلة في التراث العربي ، فؤاد قنديل ، ص211.

المحاضرة التاسعة : ابن فضلان [1]

هو أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد. كان مولى لأحد الخلفاء العباسيين وللقائد محمد بن سليمان، الذي أفلح في هزم الدولة الطولونية وإعادة مصر إلى حظيرة الخلافة سنة (292هـ/905م). ولسنا نعرف من سيرة ابن فضلان شيئًا كثيرًا. والذي لا نشك فيه أنه قام سنة (309هـ/921م) برحلة إلى بلاد البلغار. والأخرى في حوض الطونة. والأولى هي التي زارها ابن فضلان وانتشر فيها الإسلام. وتطلق كلمة بلغار على الشعب وعلى البلاد، وعلى عاصمتها، التي كانت تقع شرقي نهر الفولجا، والتي لا يزال بعض أطلالها قائمًا على مقربة من مدينة قازان الحالية وعلى نحو ستة كيلومترات من شاطئ الفولجا الأيسر،

والحق أن لهذه الرحلة شأنًا خاصًّا؛ لأن ابن فضلان كان في بعثة أرسلها الخليفة العباسي المقتدر بالله إلى ملك البلغار، بعد أن أسلم وكتب إلى الخليفة يسأله «أن يبعث إليه من يفقهه في الدين، ويعرفه شرائع الإسلام ويبني له مسجدًا، وينصب له منبرًا ليقيم عليه الدعوة ». وقد أجابه الخليفة إلى طلبه. وأرسل إليه هذه السفارة، التي كان ابن فضلان الخبير الديني فيها، والتي كان على رأسها مندوب من الخليفة لبحث الأمور السياسية والحربية. وغادر المندوبون بغداد متجهين إلى بخارى فخوارزم فبلاد البلغار، ورسالة ابن فضلان في وصف هذه الرحلة نقل عنها المؤلفون

[1]- ينظر : أدب الرحلة في التراث العربي ، فؤاد قنديل ، ص163.

المسلمون، منذ القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) كالإصطخري والمسعودي. ثم نقل ياقوت الحموي أجزاء كبيرة منها فيما كتبه عن مادة «أتل» و«باشغرد» و«بلغار» و«خزر» و«خوارزم».

والحق أن ابن فضلان ترك لنا في وصف رحلته صورة واضحة للبلغار وحضارتهم وعادتهم وتجارتهم. ويشهد ما كتبه في هذا الصدد بأنهم كانوا لا يزالون دون ما وصل إليه المسلمون في مدينتهم، وإن بدت بعض عاداتهم طريفة، كأن يأكل كل واحد من مائدته لا يشاركه فيها أحد ولا يتناول من مائدة غيره شيئًا، وكلبسهم القلانس يرفعونها عن الرأس ويجعلونها تحت الإبط للتحية وإظهار الاحترام.

ويلوح أن علاقة ملك البلغار بشعبه كانت علاقة أبوية وديمقراطية؛ فقد دون ابن فضلان أن «كل من زرع شيئًا أخذه لنفسه، ليس للملك فيه حق؛ غير أنهم يؤدون إليه من كل بيت جلد ثور. وإذا أمر سرية بالغارة على بعض البلدان كان له معهم حصة ... وكلهم يلبسون القلانس فإذا ركب الملك ركب وحده بغير غلام ولا أحد معه. فإذا اجتاز في السوق لم يبق أحد إلا قام، وأخذ قلنسوته عن رأسه وجعلها تحت إبطه، فإذا جاوزهم ردوا قلانسهم فوق رؤوسهم، وكذلك كل من يدخل على الملك من صغير وكبير حتى أولاده وإخوته، ساعة يقع نظرهم عليه، يأخذون قلانسهم فيجعلونها تحت آباطهم ثم يومئون إليه برؤوسهم ويجلسون، ثم يقومون حتى يأمرهم

بالجلوس؛ وكل من جلس بين يديه يجلس باركًا ولا يلبس قلنسوته ولا يظهرها حتى يخرج من بين يديه فيلبسها عند ذلك[1].

والظاهر أن السمن كان محبوبًا عند البلغار؛ وقد كان ملكهم بدينًا. ورأى ابن فضلان عندهم تفاحًا «أخضر شديدة الحموضة جدًّا تأكله الجواري فيسمن»، ومما أتعب ابن فضلان في مهمته الدينية أن الرجال والنساء كانوا ينزلون النهر فيغتسلون جميعًا عراة لا يستتر بعضهم من بعض. وقد اجتهد في منع ذلك فلم يوفق، وكان مركز المرأة بينهم عاليًا، وكانت الملكة تجلس إلى جانب الملك في المناسبات الرسمية.

وطبيعي أن هذا الرحالة عرض في رسالته لطول الليل شتاءً وطول النهار صيفًا، وتعذر تحديد ساعات الصلاة فكتب في هذا الصدد: «ودخلت أنا وخياط كان للملك من أهل بغداد قبتي لنتحدث؛ فتحدثنا بمقدار نصف ساعة ونحن ننتظر أذان العشاء؛ فإذا بالأذان، فخرجنا من القبة، وقد طلع الفجر. فقلت للمؤذن: أي شيء أذنت؟ قال: الفجر. قلت: فعشاء الأخيرة. قال: نصليها مع المغرب. قلت: فالليل؟ قال: كما ترى، وقد كان أقصر من هذا وقد آخذ الآن في الطول ....» ونقل ابن فضلان عن ملك البلغار «أن وراء بلده بمسيرة ثلاثة أشهر قومًا يقال لهم: ويسو؛ الليل عندهم أقل من ساعة ».

[1]- ينظر : أدب الرحلة في التراث العربي ، فؤاد قنديل ، ص 171 . معجم البلدان ،الحموي ، ج1 ، ص 476.

والغريب أن ابن فضلان لم يكتب في رسالته شيئًا عن نتائج هذه الرحالة من الوجهتين السياسية والحربية؛ فلسنا ندري هل ساعد المسلمون البلغار في تشييد الحصون المطلوبة أم لا.

وقد وصف ابن فضلان بعض قدماء الروس الذين شاهدهم في مكان على نهر الفولجا حين قدموا للتجارة مع البلغار. وكتب المستشرق الروسي فلاديمير مينورسكي في هذا الصدد أن ابن فضلان كان دقيق الملاحظة فوصف حفلة دفن زعيم روسي وصفًا مفصلًا دقيقًا حتى لقد استطاع أحد رسامي الروسي منذ خمسين عامًا أن يرسم — اعتمادًا على هذا الوصف — صورة لهذا المشهد الرهيب تزين الآن أحد جدران المتحف التاريخي في موسكو.

المحاضرة العاشرة : أبو عبد اللّٰه محمد بن محمد الإدريسي [1]

استطاع الإدريسي وهو رحالة عربي مشهور أن يطوف الكثير من بلدان العالم، مثل المغرب، الأندلس ومصر، كما تمكن من الوصول إلى سواحل أوروبا حيث فرنسا وانجلترا، حتى انتهى به الحال إلى صقلية.

كان الإدريسي واحدا من أشهر الرحالة المسلمين في القرن السادس الهجري، الذين قاموا أقدم رحلات علمية شملت قارات آسيا وأفريقيا وأوروبا، ولسبقه وجهوده العلمية اعتبر من عمالقة علماء الجغرافيا والأقاليم والأدوية.

ولد أبو عبد اللّٰه محمد بن محمد بن عبد اللّٰه بن إدريس الحموي الحسني، في سبتة بالمغرب سنة 494هـ /1100م، وعرف بالشريف الإدريسي، لأنه من نسل الأدارسة العلويين الذين أسسوا دولة الأدارسة بالمغرب، ولقب بالصقلي لاستقراره بصقلية ردحا من الزمن، ويعرف كذلك بالقرطبي لقضائه معظم مراحله الدراسية بقرطبة. ودرس الإدريسي في سبتة وفاس بالمغرب، ثم انتقل إلى قرطبة قبلة العلم والحضارة آنذاك، ومكث بها عدة سنوات أتقن خلالها الجغرافيا والفلك والرياضيات والطب والصيدلة والنبات، ثم خرج في طلب العلم إلى المشرق، فطاف

[1] - ينظر : أدب الرحلة في التراث العربي ، فؤاد قنديل ، ص 338.

ببلاد الإسلام، ثم عاد بعد ذلك إلى المغرب مارا بصقلية، وقيل إن عمره حين زار آسيا لم يتجاوز السادسة عشرة.

وكان الإدريسي يتمتع بشخصية جذابة، موهوبة، وعقلية علمية تواقة إلى المعرفة، وعشق السفر والترحال، وقام برحلات علمية كثيرة كان لها أكبر الأثر في تكوين معلوماته الجغرافية والتاريخية، التي صقلته علمياً وفكرياً، ومهدت لوضع مؤلفاته، فقد انطلق في رحلته إلى شبه الجزيرة الإسبانية وجنوبي إيطاليا والبرتغال. كما وصل إلى شواطئ فرنسا وإنجلترا الجنوبية وتجول بمدنها، ثم عبر البحر إلى المغرب وتجول في شماله وجنوبه، وعاش حينا في مراكش، وحينا آخر في قسنطينة، ثم رحل إلى المشرق وتجول في آسيا الصغرى، وانتهى به المطاف في جزيرة صقلية، وهناك استقبله ملكها روجر الثاني النورماندي في بلاطه وأغدق عليه وكفله بالرعاية، وكان زملاؤه في بلاد الملك روجر الثاني يتهمون الملك باعتناقه الإسلام لما رأوه من شديد الإعجاب بالإدريسي والثقافة وبالعلوم الإسلامية وخاصة الجغرافيا.

وفي صقلية بدأ عمله العلمي بتصميم خريطة للعالم ظلت الأدق والأفضل حتى وقت قريب، وأغدق الملك روجر عليه المال، وطلب منه أن يضع كتابا شاملا في الجغرافيا لوصف طبيعة البلدان، وثقافاتها وجبالها وأنهارها وسهولها وأوديتها،

فوضع كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" واعتمد في هذا الكتاب على مشاهداته في الرحلات التي قام بها إلى البلدان والدول المختلفة، وعلى التقارير التي وصلته من الوفود التي أرسلها إلى المناطق الأخرى، وهى تقارير تتضمن معلومات جغرافية، ثم على المراجع الجغرافية التي اطمأن إليها ووثق بمعلوماتها، كمؤلفات بطليموس، وابن حوقل، والمسعودي. واستغرق في وضع كتابه هذا خمسة عشر عاما تقريبا، وأتمه في عام 548هـ /1123م، وفى أعقاب وفاة الملك روجر في عام 1154م، خلفه غليوم الأول، الذي كلف الإدريسي بوضع كتاب آخر، فأجابه بوضع كتاب "روضة الأنس ونزهة النفس" الذي اشتهر فيما بعد تحت عنوان "كتاب المسالك والممالك".

كما وضع عدة مؤلفات علمية تفصح عن علمه الواسع بعلوم الأرض والنبات والأعشاب والأدوية منها "الأدوية المفردة"، و"الصيدلة"، و"الجامع لصفات أشتات النبات". وذكر في كتابه "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" الأسفار التي قام بها والبلدان التي زارها. كما احتوى أوصاف البلاد والأقطار والمواقع والتضاريس والبحار والأنهار والأودية والسهول، وكذلك غلات البلاد وتجاراتها سواء الصادرات أو الواردات، والعجائب التي تنسب إليها وأماكنها في الأقاليم السبعة، وأحوال أهلها وهيئاتهم ومذاهبهم وأزيائهم ولغاتهم وما يذكر عنها من العجائب، ونقل فيه معلومات عديدة عن بلاد المشرق وغيرها من المعارف العمرانية والحضارية.

وحرص الإدريسي على دعم كتابه بسبعين خريطة للعالم المعروف في زمانه، اشتملت على 356 مدينة أفريقية، و740 مدينة أوروبية، و959 مدينة آسيوية. فكان بحق أعظم موسوعة جغرافية وبشرية في زمانه.

واهتمت الدوائر العلمية في العالم بهذا المصنف وعدته غير مسبوق في مجاله، واعتبرته بهذا الكتاب أول جغرافي يقوم بمشروع علمي امتد ليشمل جميع أقطار المعمورة، بعد أن كانت أعمال الجغرافيين العرب تهتم بالعالم الإسلامي فقط. وطبع للمرة الأولى في فلورنسا بإيطاليا في عام 1592م، وهى أقدم طبعة بالحروف العربية، وبعد ذلك وضعت له ترجمات ومختصرات بلغات أوروبية مختلفة. وقالت عنه دائرة المعارف الفرنسية: "إن كتاب الإدريسي هو أوفى كتاب جغرافي تركه لنا العرب، وإن ما يحتويه من تحديد للمسافات ووصف دقيق يجعله أعظم وثيقة علمية جغرافية في القرون الوسطى."

وبهذا قدم الإدريسي الكثير من الإنجازات في مجال الجغرافيا، حيث استخدمت خرائطه وصوره في اكتشاف عصر النهضة.

المحاضرة الحادية عشر: ابن جبير [1]

ابن جبير رحالة جاب البلدان الإسلامية وكتب عنها ، واستحق بجهوده الجغرافية ومشاهداته أن يعد من أشهر الرحالة المسلمين الذين قاموا برحلات إلى المشرق العربي في القرنين السادس والسابع الهجريين.

ولد محمد بن أحمد بن جبير، وكنيته أبو الحسن بن جبير، بمدينة بلنسية بالأندلس، وقيل بشاطبة. كما اختلف في مولده فقيل عام 540هـ، ورجحت المصادر أنه ولد في سنة 539 هـ - 1144م، ونشأ في أسرة عربية عريقة سكنت الأندلس عام 123هـ، قادمة من المشرق مع القائد المشهور بلج بن بشر بن عياض، وبدأ طلب العلم بحفظ القرآن الكريم وأتقن علوم اللغة العربية بمدينة بلنسية على يد أبي الحسن بن أبي العيش وأبي عبد الله الأصيلي وابن يسعون، وارتحل إلى شاطبة لدراسة علوم الدين على يد أبيه الذي كان من كبار العلماء، والأخذ عن الفقهاء الثقات، وشغف بعلم الحساب والعلوم اللغوية والأدبية، وأظهر مواهب شعرية ونثرية رشحته للعمل كاتباً لحاكم غرناطة وقتذاك أبي سعيد عثمان بن عبد المؤمن أمير الموحدين، فسكن غرناطة، وذاع صيته لبراعته اللغوية والأدبية، ولما استدعاه الأمير أبو سعيد ، وطلب منه أن يكتب عنه كتابا وهو يشرب الخمر في

[1]- ينظر : أدب الرحلة في التراث العربي ، فؤاد قنديل ، ص 384. الرحلات ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف، القاهرة ، 1119 ،ط4 ، ص 70-94.

مجلسه، أرغم ابن جبير على شرب سبعة كؤوس من الخمر، وأعطاه سبعة أقداح دنانير، وصمم ابن جبير على القيام برحلة الحج بتلك الدنانير تكفيرا عن خطيئته.

وفي سنة 579هـ، خرج ابن جبير من غرناطة إلى جزيرة الطريف "الطرف الأغر" وعبر البحر من هناك إلى سبتة، ودخل سردينيا ومنها ركب سفينة ذاهبة إلى الإسكندرية يوم الخميس 29 شوال، 24 فبراير، وسارت السفينة في البحر تتقاذفها الأمواج ومرت بمساحة شاطئ الأندلس حتى ثغر دانية ثم جزر ميورقة ومنورقة ثم جزيرة صقلية ثم جزيرة اقريطش "كريت" ثم إلى الإسكندرية، وغادر إلى القاهرة ومنها سافر إلى صعيد مصر، فوصل إلى قوص التي مر فيها بالصحراء الشرقية إلى البحر الأحمر، ليستقل سفينة إلى ميناء عيذاب، ووصل إلى جدة، ورافق قافلة إلى مكة، فحج وأقام هنالك حوالي نصف عام، ثم زار المدينة، وخرج منها إلى الكوفة، وبغداد والموصل وحلب، وأقام بدمشق بضعة أشهر، وركب البحر إلى صقلية عائدا إلى غرناطة عام 581 هـ، وقد استغرقت رحلته سنتين ودون فيها مشاهداته وملاحظاته بعين في يوميات.

وأتبع ابن جبير هذه الرحلة برحلة ثانية في عام 585 هـ- 1189م، دفعته إليها الرغبة في زيارة بيت المقدس بعد استردادها من الصليبيين على يد السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي، في سنة 583هـ، فغادر غرناطة أوائل ربيع الأول

585هـ، ثم عاد إليها أواسط شعبان 587هـ، بعد قضاء مناسك الحج. وبعد عودته تنقل بين مدن الأندلس وفاس، منقطعا إلى تدريس الحديث والتصوف ورواية ما عنده من أخبار. وما لبث أن قام برحلة ثالثة في أعقاب وفاة زوجته، التي كان يحبها حباً شديداً، فقد دفعه الحزن عليها إلى القيام بهذه الرحلة ليروح بها عن نفسه بعد ما ألم به من حزن على فراقها، فخرج من سبتة إلى مكة وبقي فيها فترة من الزمن ثم غادرها إلى بيت المقدس، وأمضى فترة بالقاهرة واستقر في الإسكندرية يحدث وينظم الشعر، وتتلمذ على يديه العديد من طلبة العلم منهم عبد الكريم بن عطاء اللّٰه، ورشيد الدين بن العطار، والحافظان أبو محمد المنذري وأبو الحسين يحيى بن علي القرشي. مصنفاته خلف ابن جبير مصنفات قليلة تميز فيها أسلوبه بالكثير من الحيوية وسهولة التعبير منها ديوان شعر يسمى "نظم الجمان في التشكي من إخوان الزمان"، وبعض القصائد والأشعار المبعثرة في كتب "الإحاطة" و"نفح الطيب" و"الذيل والتكملة"، وله ديوان مفقود عرف باسم "وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح"، كما ترك لنا كتابه عن رحلته الأولى إلى المشرق وتعرف بـ"رحلة ابن جبير"، وتعد من أهم المؤلفات في الرحلات، ورسم فيه الحياة بكل تجلياتها في القرن السادس الهجري وبداية السابع الهجري في المشرق والمغرب والانطباع الذي خلفته هذه المدن في نفسه والأهمية التي رأي أنها تستحقها، وتسجيل ما شاهده وما كابده في أسفاره، واهتم بذكر التاريخ الذي زار فيه كل مدينة أو مكان، مر به

بطريق البحر أو البر. كما ذكر المسافات التي تفصل بين تلك الأماكن مقدرة بالأميال أو الفراسخ. وقدم معلومات وافية عن الآثار والمساجد والدواوين والمدارس وغيرها من المعالم المدنية والحضارية ودرس أحوالها ، وحرص على تسجيل الماسي التي يتعرض لها المسلمون في بعض المدن والأقطار الواقعة تحت سيطرة الصليبيين، ووصف حال مصر في عهد صلاح الدين ومدحه لإبطاله المكس "الضريبة" المترتبة على الحجاج، ووصف المسجد الأقصى والجامع الأموي بدمشق والساعة العجيبة التي كانت فيه، وهي من صنع رضوان بن الساعاتي، وانتقد كثيرا من الأحوال،

ومن أهم مشاهداته ما تحدث به عن صقلية وآثارها ، من مساجد ومدارس وقصور، وعن الحضارة التي خلفها العرب في الجزيرة. وذكرت المصادر أن ابن جبير لم يكتب رحلته في شكل كتاب، بل كانت أوراقاً منفصلة مكتوبة بشكل مذكرات يومية صيغت بأسلوب أدبي بارع، جمعها أحد تلاميذه ونشرها في كتاب باسم "تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار" وعرفت فيما بعد بـ "رحلة ابن جبير". وتوفي- رحمه الله- بالإسكندرية في سنة 614 هـ- 1217م، عن عمر يناهز الرابعة والسبعين عاما[1].

[1] - ينظر : الرحلات ، د. شوقي ضيف ، ص 70-94.

المحاضرة الثانية عشر : أبو عبد اللّه العبدري

هو أبو عبد اللّه محمّد بن محمّد بن علي بن أحمد ابن سعود العبدريّ [1] ، وينتهي نسبه إلى عبد الدّار بن قصيّ بن كلاب وإليه نسبته

لم تسعفنا المصادر ـ حتى الآن ـ بمعرفه تاريخ ولادة العبدريّ ، وتاريخ وفاته .

ولا يذكر العبدريّ شيئا عن دراسته الأولى ، ولا يستبعد أنهّ تتلمذ على والده ـ المعلّم ـ ودخل الكتّاب ـ كما كانت العادة ـ في بلدته «حاحة» فحفظ القرآن ، وتعلّم على الطّريقة المتّبعة حينئذ من التّدرّج في حفظ المتون ، وتعلم العمليّات الحسابيّة ، ثم ارتقى إلى أن أصبح من الطلاب ، عندها انتقل إلى مرّاكش الّتي كانت مركزا علميّا مرموقا آنذاك ، فأخذ عن جلّة من علمائها أمثال محمّد بن علي بن يحيى الشّريف الّذي كان شيخه وشيخ صاحبه ابن عبد الملك المراكشي.

وقد أفاد العبدريّ من كثرة مشايخه ، وتنوّع ثقافاتهم فأتقن كثيرا من الفنون ، ظهرت جليّة في رحلته الّتي بدا فيها المؤلّف حافظا للقرآن والحديث ،

---

[1] ـ ترجمته في : أعلام الزركلي 7/ 31 ـ 32 ـ الإعلام بمن حلّ مراكش و أغمات للمراكشي 4 / 287 ـ تاريخ الأدب الجغرافي لكراتشكوفسكي 1/ 367 ـ تاريخ الأدب العربي لبروكلمان 1/ 472ـ تاريخ الأدب العربي لفرّوح 6 / 401 تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس لحسين مؤنس 517 ـ تاريخ الفكر الأندلسي لبالنثيا 318 ـ 319ـ الجغرافية والرحلات عند العرب لنقولا زيادة 171 ـ 180 ـ الجغرافيون العرب لمصطفى الشهابي76 ـ 77 ـ جذوة الاقتباس لابن القاضي 276 ـ 277 ـ حوليات الجامعة التونسية العدد الرابع سنة 1967 مقال للشاذلي بويحيى ـ دائرة المعارف الإسلامية بالإنكليزية 1/ 96 ـ الرحالة العرب لنقولا زيادة 117 ـ 120ـ الرحلة و الرحالة المسلمون لأحمد رمضان أحمد 347 ـ 353 .

مطّلعا على الأدب العربي نثره وشعره ، وخطبه ورسائله ، عارفا بأيّام العرب وغزواتهم ، وفصحاء خطبائهم ، وله معرفة بالأسماء والألقاب و الكنى ، وأسماء الأماكن ، وبمصطلحات علوم الأدب والبلاغة والعروض.

كان وراء رحلة العبدريّ سببان حملاه على المضيّ فيها :

الأول : سبب دينيّ : وهو القيام بفريضة الحج ، وزيارة الأماكن المقدّسة ، والاتّصال بالمتصوّفة والصّالحين ، وقد صرّح العبدريّ مرارا بأنّه كان ينوي الإقامة بمكّة والمجاورة بها ، وبأنّه قد اكترى المنزل وجهّز لوازمه ، وصرف الرّكب إلى المغرب ، لولا حدوث فتنة هناك أرغمته على الرّحيل عن مكّة .

الثّاني : هو رغبته في لقاء العلماء والمشايخ والأخذ عنهم ، وكان العبدريّ حريصا على البحث عن السّند العالي فيما أخذه عن هؤلاء العلماء والمحدّثين ، ورأينا العبدريّ في سؤال دائم عن الأحوال العلميّة والثّقافيّة في البلاد الّتي مرّ بها ؛ فإذا صادف مجموعة من العلماء في بلد من البلاد طرب لذلك وانشرحت نفسه فانطلق لسانه ثناء وحمدا كما حدث معه في تونس .

أمّا مدّة الرّحلة فيبدو أنّها استمرّت أكثر من سنتين ، ويذكر حسن حسني عبد الوهاب أنّ العبدريّ زار تونس مرّتين في طريق ذهابه إلى الحج سنة (677 هـ / 1279 م) ، وعند رجوعه سنة (691هـ / 1292 م)

فقد أعجب بعلمائها ومجالسهم العلميّة ، ودليل ذلك قوله عند دخوله تونس بعد عودته من الحجاز : «وقد أقمت بها مدّة حتّى شفيت الحشا العليل ، ونقعت بوردها الغليل ، وقطعت فيها الغدوّ والأصيل ، بمجالسة كلّ فاضل جليل ، فما أنفصل عن عالم يوضح الحلك مهما أجاب ، إلّا إلى صالح يحتلب به درّ السّحاب ، ولا أغدو عن مجلس أدب كقطع الرّياض ، إلّا إلى محفل وعظ يسقي الخدود بالدّمع الفيّاض ، فقطعتها أيّاما من غفلات الدّهر مختلسات ، وانتظم لي شمل أنس طالما مني بالشّتات ، فلم يبق بها شيخ مذكور إلا رأيته ، ولا علم مشهور إلّا أتيته» [1]

فالرّحلة إذا كانت ذات هدف مزدوج ككثير من الرّحلات الحجازيّة الّتي كان أصحابها يقصدون الدّيار المقدّسة لأداء فريضة الحجّ ، ويغتنمون الفرصة ليلتقوا الشّيوخ في المدن الّتي كانوا يمرّون بها ، ويأخذون عنهم ما يتيسّر لهم من العلوم المختلفة.

منهج العبدريّ في تأليف الرّحلة :

أوضح العبدريّ في مقدّمة الرّحلة منهجه في تأليفها فقال : «... وبعد فإنّي قاصد بعد استخارة اللّه سبحانه إلى تقييد ما أمكن تقييده ، ورسم ما تيسّر رسمه

[1] - يظر : الرحلة المغربية لأبي عبد الله العبدري، تحقيق: محمد الفاسي، الرباط 1968م

وتسويده. ممّا سما إليه النّاظر المطرق ، في خبر الرّحلة إلى بلاد المشرق ، من ذكر بعض أوصاف البلدان ، وأحوال من بها من القطّان ، حسبما أدركه الحسّ والعيان ، وقام عليه بالمشاهدة شاهد البرهان ، من غير تورية ولا تلويح ، ولا تقبيح حسن ، ولا تحسين قبيح ، بلفظ قاصد لا يحجم معرّدا ، ولا يجمح فيتعدّى المدى ، مسطّرا لما رأيته بالعيان ، ومقرّرا له بأوضح بيان». [1]

وقد كان العبدريّ وفيّا لهذا المنهج الّذي ارتضاه لرحلته ، مطبّقا له ، فقد وصف البلدان وصفا دقيقا بمبانيها ، وآثارها ، وكثيرا ما كان يعّرج على أهلها فيصف عاداتهم وتقاليدهم ، ولباسهم ، ومستواهم العلمي ، ولم يكن متساهلا في نقد ما كان يراه غير طبيعّي سواء في أخلاق النّاس أو في عاداتهم ، وخصوصا فيما يتعلّق بالنّاحية العلميّة للبلاد الّتي كان يدخلها ، كقوله عن طرابلس : «... ثم وصلنا مدينة طرابلس ، وهي للجهل مأتم ، وما للعلم فيها عرس ...». وقوله عن تلمسان : «... وأمّا العلم فقد درس رسمه في أكثر البلاد ، وغاضت أنهاره فازدحم على الثّماد ، فما ظنّك بها وهي رسم عفا طلله ، ومنهل جفّ وشله ...»

ولجأ العبدريّ إلى ذكر الأخبار الّتي استفادها ، والأشعار الّتي كان أنشده إيّاها العلماء. ونقل بعض المعلومات المهمّة الّتي كان يراها تخدم غرضه من الكتب

[1] ـ ينظر : الرحلة المغربية لأبي عبد الله العبدري، تحقيق: محمد الفاسي .

المختلفة لتوضيح ما يذهب إليه ، وإن لم يشاهدها عيانا على الشّرط الذّي اشترطه على نفسه في مقدمة الرّحلة.

ولقي العبدريّ مجموعة من المحدّثين الذّين سمع منهم كثيرا من الأحاديث الشّريفة ، وأثبت بعضها في رحلته ، معتنيا بالسّند العالي عناية كبيرة كما سلف.

أمّا تقسيم الكتاب فلا نكاد نلمح تقسيما واضحا له ، ولكنّنا نجد فيه بعض الفصول الّتي كان كثيرا ما يلجأ إلى عقدها عند ما يريد الوقوف على ظاهرة ، والتّفصيل فيها تفصيلا يبعد قليلا عن غرض الرّحلة ومنهجها ، مستطردا في حديثه عن بلد وما يختصّ به ، أو عن تاريخه ، كما صنع في الحديث عن عجائب مصر ونيلها ، والحديث عن بناء المسجد الحرام ، والكعبة وأسمائها .

وكثيرا ما كان العبدريّ يستطرد إلى بعض الآراء الّتي تستوجب منه مناقشة وتوضيحا ، كما صنع في مشاركاته الفقهيّة ، ومناقشاته العلميّة .

تحتوي رحلة العبدريّ معلومات جغرافيّة وتاريخيّة وأدبيّة واجتماعيّة إضافة إلى المعلومات الفقهيّة. لذلك نلاحظ أنّ مصادره متنوعة تنوّعا كبيرا ، ويأتي في أوّلها المشاهدة ، ثم الرّواية الشّفويّة ، ثم المصنّفات المختلفة الّتي نقل منها.

أمّا المشاهدة فقد ظهر أثرها واضحا في المعلومات الجغرافيّة عن المناطق والبلاد الّتي مرّ بها ، وخصائصها العمرانية ، وتضاريسها ، وكان وصفه لها وصف شاهد عيان.

وقد حملت هذه الرّحلة طائفة من المعلومات والقضايا العلميّة الّتي أخذها المؤلفّ من صدور العلماء مشافهة ، وقيّدها في رحلته ، وحوت كثيرا من المعلومات الّتي لا نجدها في غير هذه الرّحلة. ومن هاهنا تزداد قيمة الكتاب العلميّة ، ويسمو درجة نحو الجودة والفائدة.

أما المصدر الثّالث فهو المصنّفات الّتي نقل عنها العبدريّ ، وقد لجأ إليها مستعينا بها على ما لم يشاهده ، أو شاهده ولكنّه يريد التّوكيد والتّوضيح والاستدلال.

أهميّة الرّحلة :

لم تنل رحلة العبدريّ مكانتها بين الرّحلات ، وأوّل من تنبّه إلى شأنها علماء الاستشراق ، الّذين انكبّوا عليها دراسة وترجمة ، وكان «أول من اشتغل بها المستشرق الفرنسي «مانسان» في مقال نشره بالجريدة الآسيويّة ، ثم نشر المستشرق «شربونو» بالجريدة الآسيوية كذلك سنة 1854 م مقالا عنها ، أتبعه بترجمة بعض فصولها» .

وبقيت هذه الرّحلة حبيسة الرّفوف إلى أن جاء الأستاذ أحمد بن جدّو وحاول أن يخرجها للناس ، فطبعها منقوصة غير تامّة ، وزاد في سوئها كثرة الأخطاء ، ثم طبعت في المغرب بعناية الدكتور محمّد الفاسي ، إلّا أن هذه الطّبعة أيضا لم تف بحقّ الرّحلة ، ولم تقدّمها للنّاس على شكلها الصّحيح ، ويبدو أنّ وقت الدّكتور الفاسي لم يتّسع لأكثر من ذلك ، فدفعها للطّبع بسرعة تحدوه الرّغبة في أن يطّلع عليها جمهور الباحثين والقرّاء ، فخرجت الرّحلة يعتورها بعض النّقص ، والتّصحيف والتّحريف ، وخلت - أو كادت - من التّعليقات الضّروريّة لا يضاح ما يستغلق فهمه لدى قراءتها.

وممّا يدلّ على أهميّة هذه الرّحلة انتشار نسخها المخطوطة في كثير من مكتبات العالم . واحتفال المؤرخين بها إذ نقل كثير منهم عنها كالتّنبكتي صاحب «نيل الابتهاج» الّذي أفاد منها أيّما إفادة ونقل كثيرا من التّراجم عنها ، وعدّها مصدرا من مصادر كتابه .

وقد اهتدى بها عدد من الرّحالين ونقلوا عنها ، واسترشدوا بها ، فقد نقل عنها ناسخ رحلة ابن بطوطة فقرات كثيرة ، وكذلك شأن الرّحّالة ابن عبد السّلام النّاصري الّذي كان يستحضرها في كلّ مراحل رحلتيه الكبرى والصّغرى ، وعبد القادر الجيلاني الإسحاقي ، واعتمد العيّاشي عليها في كثير من تدقيقاته إذ نراه

يقف كثيرا مع ما ذكره العبدريّ محقّقا ومدقّقا ، وصنع الورثلاني صنيعه أيضا في رحلته .

ونظرا إلى أهمّيتها فقد قام أبو العبّاس بن قنفذ القسنطيني ت 709 هـ باختصارها بعنوان : «المسافة السّنيّة في اختصار الرّحلة العبدريّة» ، ومازال هذا المختصر مخطوطا.

وبقي العلماء والباحثون حتّى العصر الحاضر يهتمون برحلة العبدريّ ، ويقدّرونها ، إذ عمد العلامة عبّاس بن إبراهيم المراكشيّ إلى تلخيصها في كتابه الجليل : «الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام» .

وممّا يزيد في أهميّة الرّحلة أنهّا تعدّ وثيقة مهمّة عن الحياة الثّقافيّة في أواخر القرن السّابع الهجري في البلاد الّتي مرّ بها العبدريّ ، والتقى علماءها فقد أعطانا صاحب الرّحلة فكرة موسّعة عن المستوى الثقافي في هذه البلاد ، وعرّفنا بأعلام العلماء ، وما كان يهتمّ به من العلوم المختّلفة ، كما دلّنا على الكتب التي كانت رائجة آنذاك ، وطرائق التّدريس المتّبعة عصرئذ.

وترجم العبدريّ لمجموعة من العلماء الّذين لا نكاد نعثر لهم على صورة واضحة في المصادر المختلفة ، فأضاء جوانب من شخصياتهم ، وعرّفنا بهم

وبطبائعهم ، وكانت أوصافه وأحكامه تتّصف بالدّقّة لأنّها صادرة عن شاهد عيان.

كذلك فإنّ هذه الرّحلة تفيد علماء الجغرافية والتّاريخ في دراسة الظّواهر الّتي كانت سائدة آنذاك ، كما تفيد مؤرخي الأدب في التأريخ الأدبيّ للأقطار الّتي مرّ بها العبدريّ ، فهي تضمّ نصوصا أدبيّة ـ شعريّة ونثريّة ونقديّة ـ مهمّة تتفرّد الرّحلة في بعضها ، بما يزيد في أهميّة الرحّلة ويضعها في مكانها الصّحيح بين كتب الرّحلات المختلفة.[1]

[1] ـ ينظر : أدب الرحلة في التراث العربي ، فؤاد قنديل ، ص 465.

المحاضرة الثالثة عشر : ابن بطوطة [1]

يعتبر الرحالة ابن بطوطة من أبرز الشخصيات التاريخية التي عرفت بالسفر والمغامرة والترحال، وقد كان ابن بطوطة مؤرخ وفقيه وقاض، واسمه هو محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي، ولقب بأمير الرحالة المسلمين، كما أنه ولد في مدينة طنجة بالمغرب، في الرابع والعشرين من فبراير 1304 م.

اختلفت الأقاويل في سبب تسمية ابن بطوطة بهذا اللقب، فالبعض يذكر أنه أخذ هذا اللقب من والدته "فاطمة" ، حيث أن أهل المغرب يطلقون على من تسمى فاطمة بـ "بطوطة" ، والبعض الآخر يذكر أنه تم أخذه من عائلته، مستندين على اسمه بالكامل، وهو "أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن يوسف اللواتى الطنجى بن بطوطة بن حميد الغازى بن القريش العلى."

رحلات ابن بطوطة :

بدأت أولى رحلات ابن بطوطة حين كان ذاهبًا لأداء فريضة الحج عام 1325 ، ولكن لم تقتصر رحلته حينها على الحج، حيث انتقل ابن بطوطة بين الكثير من دول العالم في ذلك الوقت، فقد طاف بلاد الشام والعراق ومصر واليمن وتركستان، كما زار الهند والصين وبلاد ما وراء النهر.

[1] ينظر : الرحلات ، د. شوقي ضيف ، ص 95- 122.

رحلة ابن بطوطة إلى العراق ومصر وفارس

بدأ ابن بطوطة رحلته التي استمرت 25 عامًا، حيث بدأ بتونس وليبيا حتى وصل إلى مصر، ومن مصر انتقل إلى جدة، ولكنه اضطر إلى العودة مرة أخرى إلى العاصمة المصرية بسبب معركة بين الممالك وأهل البجة.

بعد الانتهاء من رحلته في مصر، انتقل ابن بطوطة إلى بلاد الشام، ثم اتجه إلى مكة لأداء فريضة الحج، ومن بعدها إلى العراق وتبريز بصحبة الإيلخان السلطان أبي سعيد بهادُر، ثم عاد مرة أخرى إلى مكة، واستقر بها 3 سنوات.

وقد وصف ابن بطوطة مصر في كتابه رحلات ابن بطوطة كالتالي:

"بها ما شئتَ من عالِمٍ وجاهل ، وجادٍّ وهازل ، وحليمٍ وسَفيه، ووضيع ونبيه ، وشريف و مَشْروف ، ومنكر ومعروف، تموجُ موجَ البحرِ بسكّانها، وتكادُ تضيقُ بهم على سعة مكانها وإمكانها، شبابُها يُجدُّ على طول العهد، وكوكب تعديلها لا يبرح عن منزل السعد، قَهَرَتْ قاهرتُها الأممَ ، وتمكَّنت ملوكُها نواصي العرب والعجم، ولها خصوصيةُ النيل، الذي أجلَّ خطرَها، وأغناها عن أن يستمدَّ القَطْرَ قطرُها، وأرضُها مسيرة شهر لمُجدّ السير، كريمةُ التربة، مؤنسةٌ لذي الغربة."...

رحلة ابن بطوطة إلى اليمن [1]

انتقل ابن بطوطة بعد استقراره 3 سنوات في مكة إلى اليمن، حيث تعرف على معالم عدن، وتقاليد أهلها، والتقى بالملك نور الدين علي ، ثم وصل إلى عمان والبحرين، ومنها إلى مكة لأداء مناسك الحج للمرة الثالثة، حيث التقى بـ الملك الناصر محمد بن قلاوون سلطان المماليك في مصر الذي كان يؤدي مناسك الحج بدوره.

رحلة ابن بطوطة إلى الصومال [2]

بعد أن انتهى ابن بطوطة من زيارة عدن، انتقل إلى زيلع الصومالية، ومنها إلى أكثر من مدينة صومالية، حيث استقر في كل مدينة لمدة أسبوع كامل، وقد وصف مقديشو في كتابه بالمدينة الكبيرة بإفراط.

ويقول ابن بطوطة في وصفه لطبيعة أهل الصومال، وعاداتهم في الطعام: " طعامهم الأرز المطبوخ بالسمن، يجعلونه في صفحة خشب كبيرة، ويجعلون فوقه صحاف الكوشان أو الإدام من الدجاج واللحم والحوت (السمك) والبقول. ويطبخون الموز قبل نضجه في اللبن الحليب، ويجعلونه في صحفه، ويجعلون اللبن المروب في صفحة، ويجعلون عليه الليمون المصبر وعناقيد الفلفل المصبر المخلل والمملوح

[1]- ينظر: المصدر نفسه ، الصفحات نفسها .
[2] ينظر: المصدر نفسه ، الصفحات نفسها.

والزنجبيل الأخضر والعنب قبل نضجه (ثم يصف العنب بعد نضجه معجباً بطعمه اللذيذ، وأنه يشبه التفاح لكنه صغير الحجم، وهم إذا أكلوا لقمة من الأرز، أكلوا بعدها من هذه الموالح والمخللات."

ثم يضيف: "الرجل الواحد من أهل مقديشو يأكل قدر ما يأكله جماعة منا" وهو ما يكشف عن عادات سكان بلاد الصومال في تناولهم للطعام.

رحلة ابن بطوطة إلى الشرق الأدنى وآسيا الوسطى

سافر ابن بطوطة إلى الهند برفقة سلطان دلهي محمد بن توغلوك مع قبائل الحجاج المتجهة إلى هناك، حيث عمل مترجمًا ودليلًا للقافلة، ثم انتقل بعدها إلى تركيا وشبه جزيرة القرم، ثم إلى القسطنطينية عام 1334، حيث قابل الإمبراطور أندرونيكوس باليولوقوس الثالث، ثم انتقل إلى أفغانستان حتى وصل إلى الهند التي قضى بها 9 سنوات.

نقل ابن بطوطة بعض المعتقدات الرائجة في الهند في ذلك العصر، كإحراق الأرملة نفسها حزنًا على زوجها، عبادة البقر، وحرق الميت من الهندوس، والصراع بين الهندوس والمسلمين.

رحلة ابن بطوطة إلى الصين وآسيا

كانت رحلة ابن بطوطة إلى الصين من أكثر الرحلات الشاقة ، حيث تعرضت القافلة التي انضم إليها ابن بطوطة المتوجهة إلى الصين، إلى هجوم كبير من بعض العصابات، مما تسبب في تشتيت القافلة، ولكنه استطاع بعد ذلك في اللحاق بها، والانضمام إليهم مرة أخرى، كما غرقت إحدى السفن بعد هبوب عاصفة قوية.

زار ابن بطوطة جزر المالديف خلال طريقه إلى الصين، حيث ظل بها 3 سنوات، تزوج فيها 4 نساء، وكان من عادة النساء في ذلك العصر أن يمشين عاريات الصدر، فطلب منهن تغطية أنفسهن، ولكنهن لم يمتثلن لأوامره، فطلب ابن بطوطة أن لا تقف أي سيدة أمامه حتى تغطي صدرها، فأصبحت عادة سارية لديهن.

تولى ابن بطوطة القضاء في جزر المالديف لمدة سنة ونصف، ثم ذهب إلى جزيرة سومطرة لحضور عرس ولي عهدها الملك الظاهر، ثم انتقل إلى العراق، ثم دمشق، ومنها إلى مصر، حتى وصل إلى مكة لأداء الحج، ثم عاد إلى مصر، متوجهًا إلى تونس، حتى وصل إلى بلاده المغرب عام 750 هجريًا.

رحلة ابن بطوطة إلى الأندلس

بعد أن استقر ابن بطوطة في فاس لمدة عام، شعر بالرغبة في معاودة رحلاته، فسافر إلى غرناطة، ولكنه لم يستقر بها لوقت طويل، حتى عاد مرة أخرى إلى

فاس، ثم زار في رحلته الأخيرة بلاد السودان ومالي وتمبكتو، حتى عاد إلى فاس بأمر من السلطان أبي عنان.

كتاب ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار

استقر ابن بطوطة بعد رحلاته في حاشية السلطان أبي عنان المريني، وبدأ يسرد على الناس ما واجهه في رحلاته، والغرائب والطرائف التي شاهدها، فأعجب الناس بما يقول، حتى طلب منه الملك أبي عنان المريني تدوين مذكراته، بالاستعانة إلى كاتبه محمد بن جزّى الكلبي، وقد أطلق على كتابه " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار". [1]

[1]- ينظر : رحلة ابن بطوطة ، محمود الشرقاوي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ص 6.أدب الرحلة في التراث العربي ، فؤاد قنديل ، ص 488- 524.

المحاضرة الرابعة عشر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي الغرناطي [1]

هو الحسن بن محمد الوزان الفاسي الغرناطي [2]، المعروف بليون الأفريقي، صاحب المصنف الجغرافي التاريخي العظيم «وصف إفريقيا». ولد في مدينة غرناطة سنة 839 هـ (1488م)، قبل سقوطها النهائي بيد الأسبان بأربع سنوات. وعلى اثر السقوط غادرت أسرته غرناطة وهاجرت إلى المغرب، واستقرت بمدينة فاس وفيها درس النحو والشعر والأدب والتاريخ والفلسفة والشريعة .

طاف ليون الأفريقي بأرجاء المغرب وأواسط أفريقيا ومصر وقسطنطينية وبلاد العرب، وكتب وصفاً لأفريقيا عني فيه بالأخص بوصف أنحاء المغرب وبلاد السودان، وممالك أفريقيا السوداء في منطقة النيجر. وجاء مصنفه المشهور «وصف أفريقيا» ليلقي أضواء جديدة على جغرافية هذه المناطق وتاريخها وأحوالها الاجتماعية.

عمل في بلاط سلطان فاس محمد الوطاسي المعروف بالبرتغالي، وكلفه السلطان بمهام وسفارات إلى مناطق متعددة وأقطار مختلفة، إضافة إلى مرافقته لأبيه المكلف بجمع ضرائب السلطنة بجبال الريف والأطلس المتوسط.

---

[1]- ينظر وصف أفريقيا ، الحسن بن محمد الوزان الفاسي ، ترجمة محمد حجي ، محمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1983

[2] - ينظر ترجمته : وصف أفريقيا ، الحسن بن محمد الوزان **الفاسي** ،ص 5.

وفي تلك الفترة اشتدت هجمات البرتغاليين على الشواطئ والموانئ المغربية المطلة على الأطلسي، وفي سنة 1508م كان الحسن في خدمة محمد الوطاسي سلطان فاس، عندما سار بحملته لتحرير بلدة أصيلة التي استولى عليها البرتغاليون، وقد كادت تسقط في أيدي المغاربة لولا أن تداركت نجدة قوية بعث بها ملك قشتالة إلى البرتغاليين.

رحلات ابن الوزان [1]:

بدأ رحلاته في أنحاء المغرب وأواسط أفريقيا، برحلة مع عمه إلى تمبكتو (النيجر اليوم)، وذلك في سنة 910 هـ (1504م) وهو فتى في السابعة عشرة من عمره، وكانت من أعظم وأهم رحلاته. وكان سلطان فاس قد انتدب عمه ليكون سفيرا لسلطان فاس إلى سلطان تمبكتو وكان هذا العم حسبما يصفه الوزان في كتابه شاعراً جزلا وخطيبا مفوّها. وكانت رحلته طويلة مشعّبة تمت في صحبة القوافل.

وفي تلك الرحلة تطرق ابن الوزان لجميع ممالك إفريقيا الوسطى وحوض نهر ، وأن يدرس جغرافيتها وأحوالها. وكانت تمبكتو عاصمة لمملكة كبيرة قوية، وكانت في ذلك الوقت في أزهر عصورها، وقد أتيح لابن الوزان أن يخترق في تلك

[1] ـ ينظر وصف أفريقيا ، الحسن بن محمد الوزان الفاسي ،ص 9

الرحلة جميع ممالك السودان الواقعة في تلك المنطقة، وعددها خمس عشرة مملكة .

ويلخص ابن الوزان أحوال حكام وشعوب إفريقيا جنوب الصحراء بقوله: " إن حكام هذه الممالك وسكانها على قدر كبير من الثراء والنشاط وهم يشغفون بإقامة العدالة، ولو أن منهم طوائف تحيا نوعا من الحياة الهمجية ".

رحلاته إلى المشرق [1]

واتجه الحسن بعد ذلك إلى القيام بطائفة من الرحلات المشرقية. ولا تعرف الدوافع التي حملته على القيام بهذه الرحلات. لكنه حسبما ذكر في كتابه، فقد كان في البداية يرافق التجار، ويقوم لهم بأعمال التوثيق والمحاسبة، وأشار إلى انه جرب العمل بالتجارة لحسابه الخاص خلال رحلته الأولى إلى مصر، حيث قام في ساحل ليبيا بشراء بعض الأغنام والزبد، ولما أراد شحنها بطريق البحر إلى مصر، اضطر إلى الفرار خشية مفاجأة القراصنة الفرنج، وقد قام بتلك الرحلات بين سنتي 1515 و1520م .

ويذكر انه في عام 1516 زار مصر لأول مرة، ثم زارها بعد ذلك مرتين أخريين عقب سقوطها بيد الأتراك سنة 1517م .

[1]- ينظر وصف أفريقيا ، الحسن بن محمد الوزان الفاسي ، صفحات متفرقة.

يصف برنامج رحلته إلى مصر ومن بعدها في قوله، أنه بعد أن زار القاهرة سافر مع البحارة بطريق النيل حتى أصوان (أسوان)، ثم ارتد بطريق النيل أيضا إلى قنا (صعيد مصر)، وسار منها إلى الصحراء الشرقية، ثم عبر البحر الأحمر إلى ميناء ينبع ثغر المدينة، ثم إلى مدينة جدة. واخترق صحراء العرب حتى بلاد فارس وزار تبريز، ثم سار شمالا إلى بلاد أرمينيا .

ويستخلص مما يذكره الحسن أو «ليون الأفريقي»، أنه قام برحلتين إلى اسطنبول، الأولى في أواخر سنة 1515 أو أوائل سنة 1516 والثانية في أوائل سنة 1520م .

الوقوع في الأسر [1]

في إحدى رحلات ابن الوزان ركب البحر من الإسكندرية يريد المغرب، وبينما كانت السفينة في مياه جزيرة جربة، على مقربة من تونس، قام بعض القراصنة الايطاليين، وهم على الأغلب من البنادقة، بمهاجمة السفينة في 18 يونيو 1518 وأُخذ ابن الوزان أسيرا ضمن من أخذوا .

وكانت مياه البحر المتوسط في تلك الفترة مسرحاً لهجمات متبادلة بين المسلمين والمسيحيين، وكان وقوع الركاب الآمنين، سواء من المسلمين أو

[1]- ينظر وصف أفريقيا ، الحسن بن محمد الوزان الفاسي .

المسيحيين، أسرى في أيدي القراصنة من الجانبين من الحوادث العادية التي يكثر وقوعها .

وأدرك القراصنة أنهم يحرزون أسيراً غير عادي يمتاز بصفته العلمية، فحملوه إلى روما وقدموه هدية إلى البابا، وهو يومئذ ليون العاشر، أو الكاردينال السابق جيوفاني دي مديتشي، ابن لورنزا أمير فلورنسا، المتحدر من أسرة مديتشي. وكان الأسرى يومئذ يعتبرون من العبيد ويرسلون للعمل في قصور الأمراء الأوربيين، وبيوت الكبراء والأغنياء .

وأدرك البابا ليون العاشر في عبده الجديد قيمة علمية خاصة، وكان يخطط لشن حملة صليبية ضد الأتراك العثمانيين واحتلال القدس، لذلك فقد كان الوزان بمنزلة كنز معلومات بالنسبة له، فهو على قدر عال من المعرفة والعلم، عارف بدروب المشرق، خبير بإفريقيا، سابر لأغوار ممالكها، يحمل كتابا من تأليفه، يصف فيه إفريقيا، فبادر بعتقه، وشمله بعطفه ورعايته، وقرر له معاشاً سخياً حتى لا يفكر في الهرب، إلى أن اعتنق ابن الوزان المسيحية على يد البابا الذي عمده في ساحة القديس بطرس. وحضر البابا حفلة تنصيره، وسماه جيوفاني ليون، أي يوحنا الأسد ليعرف بعد ذلك باسمه الأوربي ليون الإفريقي leo africanus .

نهاية ليون [1]

عاش ليون أعواماً طويلة في روما ، أنجز فيها أعماله العلمية المتقدمة. ولكن صديقه وحاميه البابا ليون العاشر ما لبث أن توفي في ديسمبر 1521 ، وكان ذلك سببا لقلق ليون الإفريقي على وضعه ومكانته. فقرر مغادرة روما ، مدركا أن مكانته قد تذوبها ضغائن الحاسدين والحاقدين عليه ، والذين يدركون أو يشكون انه لا يزال يحتفظ بإسلامه حتى وهو في روما عقر المسيحيين الأول في أوروبا. وكان يزور من آن لآخر بعض المدن الإيطالية الشمالية ، ولا سيما بولونيا التي زارها مرارا .

وتختلف الروايات في مكان عودة ليون الإفريقي ، فهناك من يجزم انه سافر إلى تونس ، وهنالك عاد إلى الإسلام. وهناك قول انه عاد بعد ذلك إلى فاس مستدلا ما ذكره هو في خاتمة الكتاب الثامن من مؤلفه عن نيته في هذا العود ، حيثما يتحدث عن عزمه في الكتابة عن البلاد التي زارها خارج إفريقيا ، وذلك في قوله: "واني لأعتزم بعون الله ، حينما أعود من أوروبا إلى وطني أن أخص كل هذه الرحلات بالوصف."

[1]- ينظر وصف أفريقيا ، الحسن بن محمد الوزان الفاسي .

والمعروف أن مدينة فاس المغربية هي موطن الحسن بن الوزان «ليون الإفريقي»، حيث نشأ وترعرع. ولكن ليون لم يعش طويلا بعد عودته إلى الوطن، ولم يفسح له القدر مجالا لتحقيق أمنيته في استكمال وصف رحلاته الأخرى، واقتصر مجهوده في ذلك على وضع مؤلفه العظيم «وصف أفريقيا». وتوفي بها سنة 944 هـ (1537م).

المرحلة الإيطالية [1]

في ايطاليا عاش الحسن بن الوزان حياة جديدة في بيئة مختلفة. خاض في روما حياة علمية، وتعلم الإيطالية واللاتينية، وقام بتدريس اللغة العربية لعدة من العلماء ورجال الدين، وكان من بين تلاميذه الكردينال جيدو انتونيني، وكان البابا ليون العاشر يشجع ليون الإفريقي على الاضطلاع بعدد من المشاريع العلمية، التي تتجلى فيها معارفه المشرقية والكشفية الواسعة.

وكان ليون يعيش وحيداً، وفي عزلة، منقطعاً إلى أعماله العلمية ودروسه العربية، ولم يُعرف أنه تزوج. وأسفر نشاطه العلمي عن وضعه لعدة مصنفات قيمة، كان أهمها وأشهرها مؤلفه الضخم في وصف أفريقيا.

[1]- ينظر وصف أفريقيا، الحسن بن محمد الوزان الفاسي، صفحات متفرقة.

شخصيته [1]

يضع البحث الحديث الحسن بن الوزان، أو ليون الأفريقي، بين أعاظم الجغرافيين والرواد الكشفيين، سواء في الشرق أو الغرب، ويعتبر مصنفه في «وصف أفريقيا» من أثرى وأغنى المراجع والوثائق في هذا الميدان.

وحتى بدايات القرن العشرين ظل ليون الإفريقي شخصية هامشية، ولم يكرس الكثير من الباحثين وقتا لقراءة الكتاب وتحليله، حتى بداية الاهتمام الفرنسي بإفريقيا أو العلوم الاستعمارية عن الحياة في هذه القارة وجغرافيتها والعناصر السكانية فيها.

وفي ضوء الاهتمام الغربي الشديد بشخصية «ليون الإفريقي»، فان الاهتمام العربي بهذه الشخصية ظل محدودا، فالمصادر والدراسات التي كتبت عنه باللغة الانكليزية أضعاف ما كتب عنه باللغة العربية. بل ان بعض المؤسسات قامت بتمويل أبحاث متخصصة في سيرته، وأقيمت مؤتمرات دولية جمعت متخصصين من مجالات مختلفة (التاريخ، علم الإنسان، الجغرافيا، علم اللغة، الفلسفة) تبحث في دلالة استكشافاته.

[1]- ينظر وصف أفريقيا ، الحسن بن محمد الوزان الفاسي ، صفحات متفرقة..

هذا الرحالة العالم الذي اشتهر في دوائر البحث الغربي باسم ليون الأفريقي ليس إلا رحالة وعالماً مسلماً، وهذا الاسم الغربي الذي خلع عليه، والذي ما زال يحجب اسمه المسلم الأصيل، ينطوي على مأساة مؤلمة تمثلت في أسره .

وإذا كان الحسن بن الوزان أو «ليون الإفريقي» مجهولا لدى كثير من الباحثين والجغرافيين في الوطن العربي، فان سيرته ومؤلفاته وقيمته العلمية مجهولة لدى الكثيرين من القراء، وهذه إضاءة على جوانب من شخصيته.

وصف أفريقيا [1]

كتب ليون كتاب «وصف أفريقيا» أولا بالعربية، وقد كان هذا النص العربي معروفاً وموجودا حتى أواخر القرن السادس عشر في مكتبة بنيللي الإيطالية. ولم يصل إلينا سوى الترجمة الإيطالية التي قام بها ليون نفسه لكتابه، وفي نهايتها أن المؤلف أتم كتابه في روما في العاشر من مارس سنة 1556 ، ثم نُشر بعد ذلك مرارا ثم تُرجم إلى الفرنسية سنة 1556 وإلى اللاتينية سنة 1556 و1559 وإلى الإنكليزية سنة 1600 وإلى الألمانية سنة 1805.

وكتاب «وصف أفريقيا» مؤلف ضخم يقع في ثلاثة مجلدات كبيرة، وينقسم إلى تسعة كتب، ويحتوي على أوصاف مستفيضة للبلاد الواقعة في شمال أفريقيا

[1]- ينظر وصف أفريقيا ، الحسن بن محمد الوزان الفاسي ، صفحات متفرقة.

ووسطها، ومعالمها، وجبالها، وأنهارها، وسهولها، وتاريخها، وأحوالها، ومجتمعها، وعوائد أهلها وعاداتهم.

ويخص بلاد المغرب، وهي التي عاش فيها ليون ودرسها عن كثب، بالنصيب الأوفى. ويخصص لمصر الكتاب الثامن، وهو فصل كبير، وهي التي زارها ثلاث مرات، ويتحدث فيه عن إقليمها ومدنها، ونيلها، ويتوسع في وصف القاهرة، وشوارعها وأبوابها وعادات سكانها، ويتحدث عن نظام الحكم في عهد السلطان المملوكي قانصوة الغوري[1].

وساهمت المعلومات الكثيفة والتفصيلية التي أوردها في أن تجعل من كتابه وثيقة نفيسة، ومرجعاً من أهم المراجع، عن وصف إفريقيا وأحوالها في أوائل القرن السادس عشر الميلادي.

[1] - ينظر وصف أفريقيا، الحسن بن محمد الوزان الفاسي، صفحات متفرقة.

المحاضرة الخامسة عشر : الرحلة العياشية ماء الموائد لأبي سالم العياشي [1]

يرى "محمد الفاسي" في كتابه "وحي البينة" حول موضوع الرحلة السفرية، أن المغاربة برزوا في هذا النوع من الرحلة، ولم يؤلف أحد من العرب بقدر ما وضع المغاربة من رحلات سفرية كلها كتبت في العصور الحديثة ابتداء من أيام السعديين.ويمكن العودة إلى كتاب الدكتور "عبد الله الترغي" لتتبع نبضات "حركة كتابة الرحلة واتجاهاتها في المغرب على عهد العلويين"، حيث يستعرض رحلات متعددة، ومن خلال التقديم والعرض، يشير إلى ما تمثل كتابة الرحلة صنفا متميزا من الكتابة الأدبية التي عرفها العصر الإسماعيلي. حيث يعتبر هذا الصنف امتدادا لكتابة الرحلات التي عرفها المغرب والأندلس من قبل، مع رحلات ابن رشيد (ت 721)، وأبي القاسم التجيبي (ت 730) والعبدري (ت بعد 740)، وأبي البقاء البلوي (ت 768)، وابن الخطيب السلماني (ت 776) والمقري الجد (ت 759)، والقلصادي (ت 891)، وغيرها.فالرحلة اعتبارا من القرن السادس الهجري "العاشر الميلادي" انطلقت على أوسع مدى، وتجاوزت ديار المسلمين على أمل أن تحقق أهدافا متنوعة، اقتصادية وهي تعمل لحساب التجارة، دينية وهي تعمل لحساب فريضة الحج، إدارية وهي تعمل لحساب العلاقات بين الدول الإسلامية ومجتمعات الدول الخارجية. وظلت الرحلة العربية بصفة عامة جهدا ذاتيا واجتهادا شخصيا

[1] - ينظر : الرحلة العياشية (**ماء الموائد**)، لأبي سالم العياشي، الرباط 1397هـ-1977م.

محضا.

ويرجع المستشرقون بهذا اللون من الأدب إلى القرن العاشر الميلادي، وتؤكد المكتبة العربية على أنه استمر حتى عصرنا الحديث، وشهد تطورا في الموضوع والرؤية، والهدف واللغة، ويستلزم البحث في كل رحلة على حدا، من حيث أنها بناء فني وإبداع أدبي له أسسه الخاصة وملامحه الذاتية التي تميزه عن غيره من فنون الأدب الأخرى،وهذا يستدعي تصنيفا موضوعيا للرحلات ودراسة فنية لها. لهذا يجب تعريف الرحلة للقارئ ليتبين المعنى والمغزى والهدف الذي تحققه هذه الرحلات.

نبذة عن حياة أبو سالم العياشي:

هو "أبو سالم عبد اللّه بن محمد بن أبي بكر العياشي"، والذي قال عنه الأفراني: "أنه أحد من أحيا اللّه بهم طريق الرواية بعد أن كانت شمسها على أطراف النخيل، وجدد من فنون الأثر كل رسم محيل". كانت ولادته سنة 1037، وتوفي رحمه اللّه ضحى يوم الجمعة 18 ذي القعدة عام 1090 بالطاعون عن عمر يناهز 35 سنة وأشهر.

تلقى تعليمه الأول على يد شيوخ الزاوية العياشية، ثم انتقل إلى فاس حيث جامعة القرويين تضج بالطلبة وشيوخ العلم، ولما استوعب الواقع العلمي والصوفي والأدبي في المغرب تاقت نفسه إلى المشرق، حيث قال: «أخذت عن الأعلام الذين أدركتهم

بالمغرب عليلا، فإنهم استغنوا عما غاب بما ظهر، فاقتصروا من الكتب على ما اشتهر، دون المسلسلات والأجزاء الصغار، وعوالي الإسناد وغرائب الأخبار»، فقد رحل "أبو سالم العياشي" ثلاث مرات إلى المشرق، فأخذ عن علماء مصر ومكة والمدينة المنورة وفلسطين، فضلا عن اتصالاته الوثيقة والمباشرة مع علماء ومتصوفة من طرابلس والأسكندرية والقدس... فلم يترك عالما إلا قصده ولا متصوفا إلا زاره، حرصا على أسانيدهم ومستدعيا إجازتهم، وآملا بركة دعائهم.

من أهم مؤلفاته:

- إظهار المنة على المبشرين بالجنة.
- المضريات في إصلاح الوتريات.
- اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر
- الرحلة العياشية أو ماء الموائد.

شيوخه:

يعتبر أبو سالم العياشي من أبرز ذوي الاتصال العلمي والصوفي والأدبي من أعلام عصره في المغرب والمشرق خلال الربع الثالث من القرن الحادي عشر الهجري، ويميز العياشي في مشيخته بين من لقنوه علوم الشريعة، وبين ما لقنوه علوم الحقيقة ولا يمكننا ذكرهم جميعا لكثرتهم لذلك سوف نقتصر على ذ كر بعضهم فقط.

شيوخ علوم الشريعة الذين أخذ عنهم بالمغرب :

- والده "محمد بن أبي بكر العياشي.
- عبد القادر بن علي الفاسي.
- أبو العباس أحمد الأبار.
- محمد بن أحمد ميارة.
- أبو بكر بن يوسف السكتاني.

أما شيوخه الذين أخذ عنهم بالحرمين، فهم:

- محمد بن علاء الدين البابلي المصري.
- تاج الدين بن أحمد المالكي المكي الأنصاري.

مسار رحلته[1]:

تعد رحلة العياشي «ماء الموائد» من أهم الرحلات المغربية وأكثرها انتشارا، وأكثرها تنوعا، وقد طفق الرحالون من اللاحقين ينقلون عنها من دون أن يرجعوا إلى مصادر أخرى أحيانا، ومن هنا نرى أن الاهتمام بها يعد اهتماما بجل الرحلات التي تلتها. فقد انطلقت هذه الرحلة سنة 1072هـ/ 1661م من سجلماسة بأرض المغرب لتصل إلى القاهرة، مرورا بكل من الجزائر وتونس طرابلس، قبل أن تأخذ وجهتها المحددة وهدفها المقدس ومكة المكرمة والمدينة المنورة، موئل الشريعة والحقيقة، ومهوى قلوب المسلمين وأفئدتهم، وموطن الرجال والأفكار، ورمز

[1] - ينظر : الرحلة العياشية (**ماء الموائد**)، لأبي سالم العياشي.

الخلاص الديني والدنيوي.وفي خضم هذا المسار، لم يكتفي "أبا سالم العياشي" بما اكتفى به غيره من الرحالة، فقد آثر أن تمتد رحلته إلى الشام للقاء الرجال والاحتكاك بالأفكار، والتمسح بالمقامات والمزارات، فحل ضمن ما حل به من مدن وقرى بكل من غزة والرملة وبيت المقدس والخليل، والتقى بكثير من الرجال خلال هذا المسار الجغرافي، ووقف على عدد من الكتب والأفكار، وجابه عدد من التيارات العقدية والصوفية.ويظهر أن أساس هذا العمل الرحلي الموسوعي بقي بلا منازع المدينة المنورة التي لازمها "أبو سالم العياشي" لمدة سبعة أشهر، درس خلالها فنونا من العلم وألوانا من المعرفة، وجالس أثناءها عددا من الرجال، واحتك بجملة من الأفكار والمعتقدات، وأجاز واستجاز، وتلقى وأخذ، وأفاد واستفاد، وقيد وألف.

رحلة أبي سالم العياشي ديوان علم وأدب:

تميزت الرحلة العياشية، انسجاما مع شخصية مؤلفها واتساقا مع خصائص عصرها، بنشاط علمي متميز، فكانت كما وصفها صاحبها ديوان علم لا كتاب سمر وفكاهة، أي أن محتواها دار بالإتجاه الديني في تساوق تام مع العلمي، ولا غرابة أن يتلازم الهدفان عند أبي سالم العياشي الفقيه العالم، والمؤمن الورع الذي يرتجي الخلاص ويقصد منابعه.

يقول العياشي مؤكدا: "وقصدي إن شاء الله من كتابة هذه الرحلة أن تكون

ديوان علم لا كتاب سمر وفكاهة، وإن وجد الأمران فيها معا فذلك أدعى لنشاط الناظر فيها، لاسيما إن كان صاحب تلوين، وأما صاحب التمكين فلكل شيء عنده موقع ونفع لا يوجد في غيره، والله المسؤول أن يلهمنا رشدنا ويخلص لوجهه فيما نأتي ونذر قصدنا، فهو حسبنا ونعم الوكيل، وبالإجابة لدعاء سائله كفيل."

ولذلك، فإن الرحلة العياشية تعتبر ديوان علم وأدب، وسجل تاريخ وتصوف، وكتاب أخبار وآثار، ويكفي أنها قد انفردت دون سواها من الكتب والرحلات، وأمهات المصادر بإيراد جملة من النصوص والرسائل والإجازات والنقول، وخطب الكتب التي لا نكاد نقف لها على أثر، كما أنها تترجم لعدد من الأعلام الذين لا نسمع عن أحد منهم، بخلاف هذه الرحلة التي تحتاج لوحدها إلى حلقة من حلقات الدرس والبحث، للكشف عن عدد من المواقف والرجال، والطرق والزوايا، والكتب والأشعار، والخزائن والمكتبات، والوقائع والأحداث، والمعارك والجولات، والبيوع والمعاملات، والإجازات والتوقيعات التي لا شك أن الوقوف عندها سيعطي فكرة عامة وشاملة وموضوعية عن خصائص القرن الحادي عشر الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

"ماء الموائد" أفكار ومعتقدات:

ولأنها تمت في سياق تاريخي محدد، ونظرا لخصوصية المجتمع العربي الإسلامي، الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية، خلال القرن الحادي عشر للهجرة،

فقد عمد "أبو سالم العياشي" بحرص الفقيه العالم، وبخصوصية عين الرحالة اليقظة، إلى تسجيل وتدوين كل ما صادفه في طريقه أثناء رحلته الموسوعية من أفكار ومعتقدات، وأعراف وعادات، وطقوس وممارسات، تداخل في تكوينها الخرافي بالديني، وشارك في نشأتها الاجتماعي والاقتصادي، وتعاون على تشكيلها اليومي والمعيشي جنبا إلى جنب مع الثقافي والمكتسب.

الجانب الاجتماعي في الرحلة العياشية:

كان للملمح الاجتماعي نصيب وافر من مدونة العياشي الرحلية، ولا عجب أن يحظى هذا الملمح بمكانة خاصة في الحلة العياشية التي حرص صاحبها على الاختلاط بالناس والدخول إلى الأسواق، والاعتكاف في المساجد، وزيارة المقابر، والوقوف على المكتبات، والمشاركة في المناسبات، والمساهمة في حلقات الدرس.

ولا شك أن هذه المشاركات الاجتماعية الواسعة قد كانت مؤطرة بشخصية "العياشي" الفقيه الذي كان لا يغمض جفنا عن منكر، ولا يغض طرفا عن بدعة، ولا يتجاوز ضلالة إلا ودونها في رحلته وسجل ملاحظاته بخصوصها، وقد كان "العياشي" أثناء هذا التدوين والتسجيل، حريصا على قياس الشاهد على الغائب لرد الأمور إلى نصابها، على الأقل نظريا، مع تقديم الدليل من الكتاب والسنة، والاعتماد على التاريخ، والمقارنة بين الأحداث والوقائع، مع الميل إلى التفسير والتعليل واستحضار العامل الاقتصادي في بروز ظاهرة اجتماعية معينة أو تفشي

سلوك معين.

الجانب الاقتصادي في الرحلة العياشية:

حرص أبو سالم العياشي خلال رحلته الشهيرة إلى الديار المقدسة على تتبع مختلف نواحي الاختلال في مجريات الحياة الاقتصادية كما لمسها في مختلف المعاملات التجارية، ومن هذه المعاملات مسألة الموازين والمكاييل وقيمة العملات وشرعياتها. كما أشار إلى احتكار السماسرة لعمليات البيع والشراء في أسواق الحجاز وانتشار عمليات السمسرة سواء بأسواق المغرب أو المشرق.وقد سجل "العياشي" بذكاء، السبب الكامن وراء انتشار البُن في بيوت أهل الحجاز، فقد عزا "العياشي" هذا الأمر إلى أسباب اقتصادية ضاغطة، حيث أن العامل الاقتصادي لم يكن المحدد الوحيد للعادات الغذائية في الحجاز، فقد كان المناخ أيضا عاملا مهما في تحديد نمط الغذاء السائد في هذا الركن من العالم العربي الإسلامي خلال القرن الحادي عشر. ونجده قد قدم خلال هذا عرضا مفصلا لمختلف معروضات الأسواق من أثواب ومفروشات، وخضر وحبوب، ومياه ومأكولات وكتب وجوار وبهائم وعلف وغيرها مما يباع ويشترى.فالرحالة "العياشي"، يهتم بعرض الجزئيات ويحرص على إيراد الدقائق والطبيعة الموسوعية للرحلة العياشية التي اهتمت بكل الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للمسار الذي سلكه، كما أن هذا كله يكشف عن شخصية الرحالة الذي بدا خبيرا مجربا للأسفار والأخطار، فهو عيار

مأخوذ بما تقدمه الطريق كل يوم من جديد ، كما أنه غير مشدود لذاته ولا منعزل عن محيطه.

الجانب الصوفي في الرحلة العياشية:

كان لمسار المجتمع العربي الإسلامي نحو الانحدار خلال القرن الحادي عشر للهجرة، دور كبير في انتشار الطرق والزوايا بمختلف ألوانها الشعبية والعالمة، والسنية والشيعية، والحضرية والبدوية، والمشهورة والمغمورة، وبما أن "أبا سالم العياشي" ينتمي إلى المدرسة الصوفية وينحدر من مؤسسة الزوايا، فإن السر في اهتمامه الكبير، الوقوف عند مختلف الطرق الصوفية المنتشرة في أرجاء خارطة العالم العربي الإسلامي التي مسحها خلال رحلته، أو تلك التي التقى أتباعها وأنصارها وحاور المنتسبين إليها.

ولقد عرّف "أبو سالم العياشي" بتعاليم بعض هذه الطرق وقدم أدبياتها، وسجل بعض المحاورات التي دارت بينه وبين أصحابها وأتباعها وأبدى إعجابه بل افتتانه ببعضها، كما أنه لم يخف تحفظه من بعض الطرق المغالية، وقد صرح "العياشي" أن سر اهتمامه بتعريف الطرق والمدارس الصوفية لقراء رحلته، إنما هو بسبب غرابة تلك الطرق ببلده المغرب، الذي لم تشتهر به غير طرق معينة كالطريقة الشاذلية.

كما نجد الرحالة حرص خلال رحلته أيضا على زيارة الأضرحة والتبرك بالمقامات

والوقوف عند الزوايا والرباطات، وبدا مشغولا بإيراد أخبار المتصوفة والزهاد والعباد، مع ذكر كراماتهم ومأثوراتهم والتأكيد على مكانتهم الروحية والاجتماعية، وقد بدا "العياشي" في دروب نصه الرحلي متصوفا سنيا، عميق الإيمان، شديد التعلق بمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومن هنا يبدو جليا أن الرحلة العياشية بمثابة رصد دقيق وصادق لكل ما ضجت به الحياة في العالم العربي الإسلامي خلال القرن الحادي عشر الهجري، من تيارات فكرية وعقدية، ومذاهب صوفية وفلسفية، عملت الحياة السياسية المضطربة على نموها وشيوعها بين الأفراد والجماعات.

رحلة أبي سالم العياشي، رجال وشخصيات:

تميز القرن الحادي عشر للهجرة، في وجهه الثقافي والعلمي، بظهور حركة فكرية نشيطة، خاصة في الحجاز الذي شكل نقطة استقطاب للعلماء والفقهاء والمتصوفة من مختلف ربوع العالم العربي الإسلامي، ورغم هذا فإن الباحث في التاريخ الأدبي خلال القرن المذكور، يجد أن صفحات مشرقة من النتاج الأدبي قد تم تجاوزها ونسيانها خلال مرحلة مديدة تعدت هذا القرن لتشمل قرونا أخرى. ولا يكاد التاريخ الأدبي في هذه المراحل التاريخية يذكر إلا في ارتباط مصر والشام وبعض المراكز الأخرى هنا وهناك، علما أن هذا مجانب تماما للحقيقة، ومخالف للواقع الذي لا زالت المصادر التي أرخت للمرحلة، تمدنا ببعض حقائقه التي تحتاج لمزيد

من الجهد والعمل، دراسة وإخراجا وكشفا، لإنصاف مرحلة غنية بعطائها العلمي والفكري من تاريخ الأدب العربي، لاسيما في الحجاز الذي كان على الدوام منطلقا وموئلا للأدب والأدباء، ومهوى للأفئدة والعقول التي بقدر ما أعطت وتلاحقت، بقدر ما أخذت واستفادت، قبل أن تعود إلى بلدانها محملة بأغلى زاد وأشرف بضاعة.

الجوار مع العلماء والفقهاء:

شكلت المجاورة بالحرمين الشريفين من طرف الفقهاء والعلماء والأدباء والمتصوفة الذين شدوا الرحال إلى البقاع المطهرة من مختلف بقاع العالم الإسلامي وأصقاعه خلال ق11هـ وخلال سبقه وما تلاه من قرون أيضا، ظاهرة متميزة أغنت الحركة الفكرية والأدبية بالحجاز الذي أصبح بمثابة جامعة مفتوحة تستقطب الأساتذة الزائرين وتحتضن الطلبة المقيمين والوافدين على السواء، ومما ساعد على قوة هذه الظاهرة وحيويتها، انتشار المدارس والأربطة وإيقاف الأوقاف وتحبيس المكتبات وإهداء الكتب، والعناية بالطلبة والمدرسين.وقد كان "أبو سالم العياشي"، واحدا من هؤلاء العلماء الذين شدوا الرحال بالحرمين الشريفين، وقد حرص في طريقه نحو وجهته المقدسة على لقاء الرجال والاتصال بالأعلام من متصوفة وفقهاء وقضاة وعلماء وأدباء وغيرهم، كما عمل أثناء مدة مجاورته التي فاقت السبعة أشهر، على التفاعل الايجابي والخلاق مع محيطه الاجتماعي.

القيمة العلمية للرحلة:

والواقع، فإن رحلة العياشي تعد بمثابة كتاب لتراجم أعلام القرن الحادي عشر للهجرة، إذ لم يبق ممن انتسب لهذا القرن من فقيه عالم، أو متصوف عارف، أو أديب شاعر، سواء بالغرب الإسلامي، أو بمصر والحجاز، أو بالقدس وما والاها من المدن والأمصار، إلا وحرص "العياشي" على الالتقاء به ومقابلته والأخذ عنه والتعريف به، أو اكتفى بالإشارة إليه حين حالت عوارض زمانية أو مكانية دون لقائه، ويكفي أن نشير في هذا الصدد إلى أن "أبا سالم العياشي" قد ألف كتابين اثنين سجل فيهما نشاطه العلمي والثقافي في مختلف المراكز الثقافية العربية الإسلامية خلال القرن الحادي عشر للهجرة.

فالقيمة العلمية للرحلة تحتوي على الكثير من المعارف الجغرافية والتاريخية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، مما لا يدونه الرحالة تدوين المعاين في غالب الأحيان، من جراء اتصاله المباشر بالطبيعة وبالحياة، خلال رحلته. أما بالنسبة للقيمة الأدبية في الرحلات، فهي تتجلى في ما تعرض في موادها من أساليب ترتفع به أدب الرحلات من تنوع في الأسلوب، من السرد القصصي إلى الحوار إلى الوصف وغيره.

وقد تميز الرحالة المغاربة والأندلسيين بميزات خاصة في تدوينيهم لرحلاتهم، فكل رحالة يكمل ما نقص من سلفه، ويضيف لفن الرحلة إلى بناء جديدة أعطته عن

صيفته وميزته، وعن باقي الرحالة المسلمين في العالم الإسلامي، ولا شك أن الرحلات المغربية والأندلسية، ظاهرة أدبية وتاريخية واضحة، حيث أن لهذه الرحلات المدونة الفضل في إمدادنا بمعلومات قيمة لم يدر بخلد مؤلفيها أهميتها في وقت تدوينها وخاصة أنهم أودعوا فيها معظم شهادتهم.هذا وقد هدفت هذه الرحلة إلى بعث واحد من أعرق ألوان الكتابة من خلال تقديم كلاسيكيات أدب الرحلة، إلى جانب الكشف عن نصوص مجهولة لكتاب ورحالة عرب ومسلمين، كما كشفت عن طبيعة الوعي بالآخر الذي يتشكل عن طريق الرحلة، وبهذا فأدب الرحلة ثروة معرفية كبيرة لا يستهان بها.

أخيرا إن الرحلة العياشية تستمد قيمتها الحقيقية من مضمونها الغني الذي جعلها تحتضن عددا كبيرا من النصوص والأشعار والتراجم، الشيء الذي أضفى عليها طابع الموسوعية، كما تستمد هذه الرحلة قيمتها من مكانة صاحبها، "فالعياشي" عالم من كبار العلماء، وفقيه من جلة الفقهاء، وهو بعد هذا شخص يبدو متزن الخطى، رصين النزعات كما ينبغي لمثله أن يكون.ثم إن مسار الرحلة، هو مسار مقدس، قد رسم معالمها العامة، وحد حدودها التي ألفت بين جغرافيا الأرض والفكر، وزاوجت بين متطلبات الروح والعقل، ففي تساوق تام مع مسار الرحلة، فإن صاحبها بدا مسكونا بالتعرض لعلماء الأمصار وذكر تآليفهم وعرض لقاءاته بهم، وإيراد القضايا الفقهية والعلمية التي تطارحها معهم، كما أنه كان

بين الفينة والأخرى يلمع إلى طرف من مؤلفاتهم، ويشير إلى النوازل التي يطرحها الارتحال والسفر من أفق إلى آخر، كما كان يهتم بكل ما يتخلل العبادات والمعاملات، من شوائب وزيادات.

وقد كان الدافع الأساسي وراء تدوين هذه الرحلات، هو طلب العلم، واستلهام التجارب، ومحاولة الأخذ بمعطيات التطور الحديث، واقتفاء أثر الآخر للخروج من حالة الشلل الحضاري التي وجد العرب نفسهم فريسة لها، فأصبح بذلك أدب الرحلة يشكل ثروة معرفية كبيرة، ومخزنا للقصص والظواهر والأفكار، فضلا عن كونه مادة سردية مشوقة تحتوي على الطريف والغريب والمدهش مما التقطته عيون تتجول وأنفس تنفعل بما ترى، ووعي يلم بالأشياء ويحللها ويراقب الظواهر ويتفكر بها[1].

[1] ـ ينظر : الرحلة العياشية (**ماء الموائد**)، لأبي سالم العياشي .

قائمة المصادر والمراجع :

- أحمد زروق والزروقية. تأليف د. خشيم علي فهمي، بيروت 1975م.

- اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، تأليف محمد الأنصاري السبتي. تحقيق الأستاذ محمد بن تاويت، نشر بمجلة تطوان عدد 3- 4 سنة 1958م.

- أدب الرحلة عند العرب، تأليف: د. محمد حسين حسيني، مصر 1976م.

- الأدب المغربي، تأليف: محمد بن تاويت، بالاشتراك مع محمد الصادق عفيفي، بيروت 1960م.

- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، لأبي العباس المقري، نشر وزارة الأوقاف – الرباط.

- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، لأبي العباس الناصري. الدار البيضاء 1956م.

- أشهر رحلات الحج (ج1) لحمد الجاسر، منشورات دار الرفاعي بالسعودية 1402هـ- 1982م.

- الأصول التاريخية للحضارة العربية الإسلامية في الشرق الأقصى، تأليف

فيصل السامر، باريس.

- أعجب الرحلات في التاريخ، تأليف: أنيس منصور، الإسكندرية 1972م.

- أعلام المغرب العربي (ج2)، تأليف: عبد الوهاب بن منصور المطبعة الملكية بالرباط 1399هـ- 1979م.

- الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، تأليف: عباس بن إبراهيم المراكشي، المطبعة الملكية بالرباط.

- الأعلام، لخير الدين الزركلي، بيروت.

- أنس الفقير وعز الحقير لابن قنفد، تحقيق: محمد الفاسي وأدلف فور، الرباط 1965م.

- الأنيس المطرب بروض القرطاس، في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تأليف: ابن أبي زرع الفاسي، ط دار المنصور. الرباط 1973م.

- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، تأليف إسماعيل باشا البغدادي، مكتبة المثنى، بغداد.

- بدائع السلك في طبائع الملك، لابن الأزرق تحقيق: د. علي سامي النشار. ط بغداد 1977م.

- البدر الطالع بمحاسن مَنْ بَعْدَ القرن السابع، تأليف: محمد بن علي الشوكاني، القاهرة 1348هـ.

- برنامج التجيبي، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، ليبيا – تونس 1981م.

- برنامج الوديَاشي، تحقيق: محمد محفوظ. بيروت 1982م.

- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، لأبي يحيى ابن خلدون الجزائر 1321هـ- 1903م.

- بغية الوعاة لعبد الرحمن السيوطي. دار الفكر 1399هـ- 1979م.

- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى. ط. بيروت.

- تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، وهو رحلة خالد بن عيسى البلوي، تحقيق: الحسن السائح. مطبعة فضالة، المحمدية.

- تاريخ ابن خلدون، انظر: كتاب العبر.

- تاريخ المغرب، للأستاذ عبد العزيز بن عبد اللّه. ط الدار البيضاء.

- تاريخ سبتة، الأستاذ ابن تاويت. ط دار الثقافة بالدار البيضاء 1982م.

- تحفة المغترب ببلاد المغرب لمن له من الإخوان، في كرامات الشيخ أبي

مروان، لأحمد بن إبراهيم الأزدي القشتالي، تحقيق: دي لاجرانخا مدريد 1974م.

- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، وهي رحلة ابن بطوطة. ط دار التراث بيروت 1388هـ- 1968م.

- تذكرة الحفاظ لشمس الدين الذهبي. ط دار إحياء التراث. لبنان.

- الترجمانة الكبرى، في أخبار المعمور بَرّاً وبحْرًا، لأبي القاسم الزياني، تحقيق: عبد الكريم الفيلاني، المحمدية 1397هـ- 1967م.

- تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، لأنيس المقدسي، ط5، بيروت 1974م.

- التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقاً، لعبد الرحمن بن خلدون، القاهرة 1370هـ- 1951م.

- الجغرافية والرحلات عند العرب، تأليف نقولا زيادة، بيروت 1980م.

- الجغرافيون العرب، لمصطفى الشهابي، مصر 1962م.

- جواهر الكمال في تراجم الرجال، لأبي عبد الله الكانوني، القسم الثاني، البيضاء 1356هـ.

- الحلل الموشية، في ذكر الأخبار المراكشية، لمؤلف مجهول، تحقيق: الأستاذين زكار، وزمامة. الدار البيضاء 1979م.

- الخزانة العلمية بالمغرب، لمحمد العابد الفاسي، الرباط 1380هـ-1960م.

- الرحالة العرب لنقولا زيادة، القاهرة 1956م.

- الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، تأليف: د. زكي محمد، حسن دار المعارف مصر 1945م.

- الرحلات، تأليف: د. شوقي ضيف، ط3 – القاهرة.

- رحلة ابن جبير أبي الحسين أحمد، دار صادر، لبنان 1400هـ- 1980م.

- رحلة ابن جبير ورحلة ابن بطوطة، لمحمد مصطفى زيادة، القاهرة 1939م.

- رحلة ابن رشيد السبتي (دراسة وتحليل) رسالة جامعية تقدم بها أحمد الحدادي، لكلية الآداب بفاس سنة 1981م- 1982م، نسخة مرقونة.

- رحلة التجاني، أبي محمد عبد اللّٰه، تقديم: حسن حسني عبد الوهاب، تونس 1981م.

- رحلة الحشائشي محمد بن عثمان، تحقيق: علي مصطفى المصراتي، لبنان

1965م.

- الرحلة العياشية (ماء الموائد)، لأبي سالم العياشي، الرباط 1397هـ-1977م.

- الرحلة المغربية لأبي عبد الله العبدري، تحقيق: محمد الفاسي، الرباط 1968م.

- الرحلة المغربية، تحقيق: أحمد بن جدو. ط. قسنطينه.

- رحلة إلى جرز مالديف، لمحمد بن ناصر العبودي، الرياض 1401هـ-1981م.

- الرحلة في طلب الحديث لأبي بكر البغدادي، تحقيق: نور الدين عتر – دار الكتب العلمية، لبنان 1395هـ- 1975م.

- رحلة مع ابن بطوطة لمحمود الشرقاوي، القاهرة 1968م.

- ركب الحاج المغربي، للأستاذ محمد المنوني، تطوان 1953م.

- السعادة الأدبية، لابن الموقت المراكشي، الدار البيضاء 1342هـ.

- سلوة الأنفاس لمحمد بن جعفر الكتاني، طبعة حجرية.

- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لابن مخلوف، بيروت 1349هـ.

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، طبعة بيروت.

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، لأبي العباس القلقشندي، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

- فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي الربعي، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد ط. المجمع العلمي بدمشق 1950م.

- فهرس ابن غازي، تحقيق: محمد الزاهي، الدار البيضاء 1399هـ-1979م.

- فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني، تحقيق: د. إحسان عباس، بيروت 1402هـ- 1982م.

- فهرس المنجور تحقيق: د. محمد حجي، الرباط 1976م.

- كتاب العبر، لعبد الرحمن بن خلدون، بيروت 1959م.

- كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، لأبي عبيد البكري، نشر وترجمة: دوسلان باريس 1965م.

- كتاب الوفيات لابن قنفذ ، تحقيق: عادل نويهض، بيروت 1978م.

- كتابات مضيئة في التراث الجغرافي، تأليف: د. شاكر خصباك، بغداد 1979م.

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة ، ط. بغداد.

- لسان العرب لابن منظور، طبعة بيروت.

- اللسان المعرب عن تهافت الأجنبيّ حول المغرب، لأبي عبد اللّه السليماني، الرباط 1391هـ- 1971م.

- المحاضرات للحسن اليوسي، إعداد: محمد حجي، الرباط 1396هـ-1976م.

- المدخل لابن الحاج العبدري، بيروت 1401هـ- 1981م.

- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، لأحمد العمري، تحقيق: حسن عبد الوهاب، تونس.

- مستفاد الرحلة والاغتراب، للتجيبي، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، ليبيا – تونس 1395هـ 1975م.

- مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب، جمع وتحقيق: د. أحمد المختار العبادي، الإسكندرية 1958م.

- المشرق في نظر المغاربة والأندلسيين في القرون الوسطى، تأليف: د. صلاح الدين المنجد، بيروت 1963م.

- مظاهر الثقافة المغربية، تأليف: د. محمد بنشقرون.

- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، لعبد الواحد المراكشي. تحقيق: سعيد العريان ومحمد العلمي، ط7. البيضاء 1978م.

- مكانة الجغرافية في الثقافة الإسلامية، لعبد الفتاح وهيبة، جامعة بيروت 1979م.

- ملء العيبة (الجزآن 2، 3) للرحالة ابن رشيد، تحقيق: د. ابن الخوجة، تونس 1402هـ- 1982م.

- مهذب رحلة ابن بطوطة، تأليف: أحمد بك العوامري ومحمد أحمد جاد، ط بولاق 1939م.

- الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، لعبد العزيز بنعبد الله، طبع وزارة الأوقاف بالرباط.

- مؤلفات ابن خلدون لعبد الرحمن بدوي، ليبيا – تونس 1399هـ- 1979م.

- النبوغ المغربي في الأدب العربي، تأليف: عبد الله كنون، بيروت 1961م.

- نشر المثاني، لمحمد بن الطيب القادري، تحقيق: محمد حجي وأحمد التوفيق، الرباط 1977م.

- نظم السلوك في الأنباء والخلفاء والملوك، لعبد العزيز الملزوزي، المطبعة الملكية، بالرباط 1382هـ- 1963م.

- نفح الطيب، لأبي العباس المقري، تحقيق: د. إحسان عباس، بيروت 1388هـ- 1968م.

- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، لأحمد بابا التنبكتي، (بهامش كتاب الديباج) بيروت.

- الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى، للأستاذ: محمد بن تاويت، الدار البيضاء 1981م.